
كتاب اليوم
حوار ضاحك مع الجن
والعفاريت
على سالم
Bibliotheca Alexandrina
0093408

كتاب
اليوم
يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :
نبيل أباظة

عدد أغسطس

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

البلد	السعر	العملة
الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	٢٥	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	٢٥	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٢٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٢٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

• الاشتراكات •

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٢٥ دولارا
أمريكيا أو ما يعادله
أوربا وأمريكا ٣٠ دولارا
أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا
٤٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

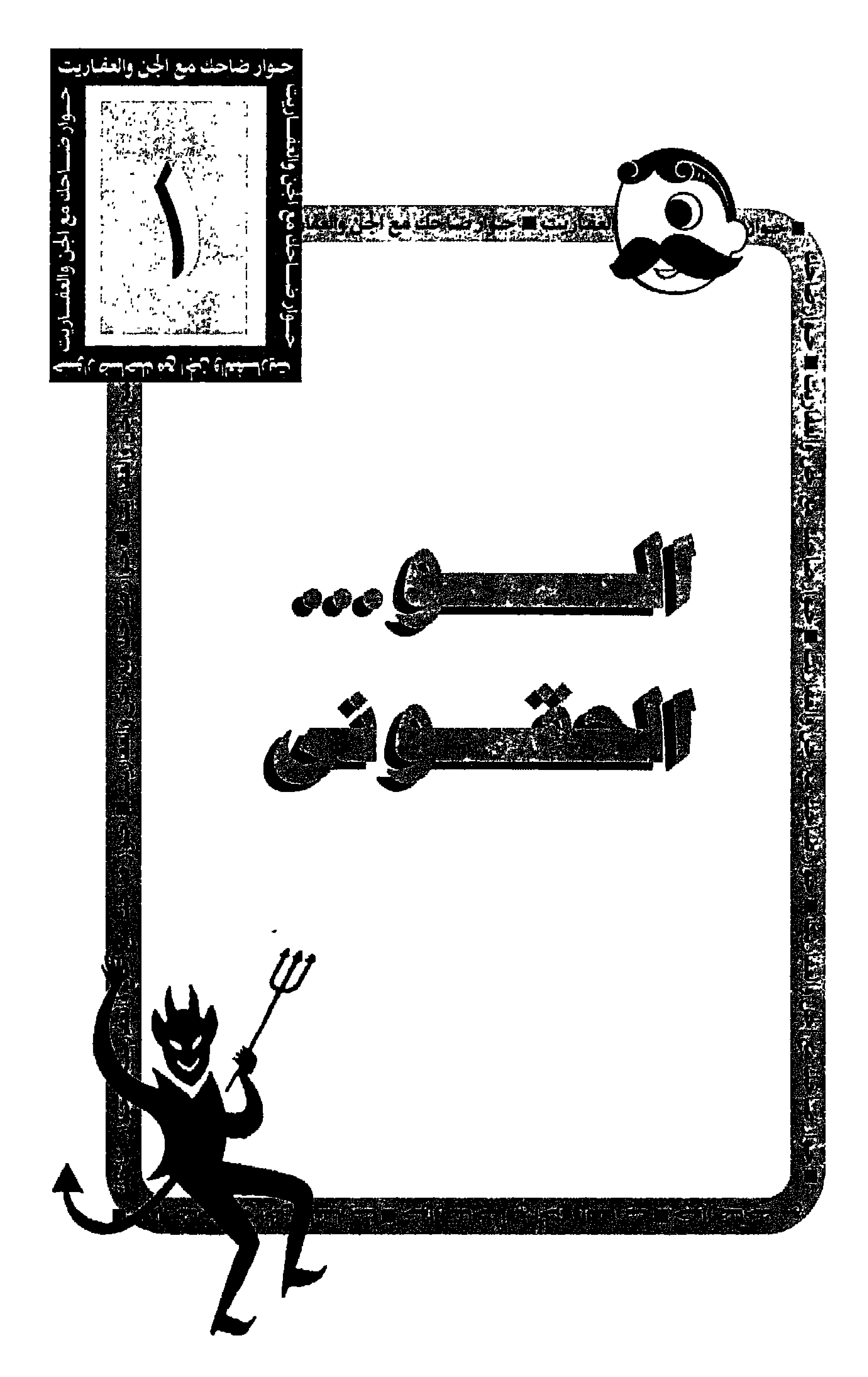
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات
٣ (أ) ش الصحافة
القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

كتاب اليوم

□ عدد أغسطس □

حوار صحفي مع الجن والعفاريت

□ على سالم □


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
١
الو...
الحقوقى

آلــو الحقونى .. بيتى يشتعل .

— حدد معنى ألفاظك ، هل هو يشتعل أم يحترق ؟

ـ كلاهما .. يشتعل ويحترق .

— من أى شىء تـريـدنـا أن ننقـذك من الاحتراق أم من الاشتعال ؟

ـ من كليهما .

— وما هى الوسيلة المناسبة لذلك فى اعتقادك ؟

ـ أن ترسلوا لى بالمطافىء فورا .. ألحقونى .

— أنت تريد المطاف إذن ؟

ـ نعم .. نعم .. أنقذونى .

— ماذا تقصد بكلمة المطاف ؟ .. إذا كنت تقصد رجال الإطفاء .

ـ نعم أقصد رجال الإطفاء .

— رجال الإطفـاء بحد ذاتهم لا يستطيعـون إطفاء الحريق أو إخماد الاشتعال .. لابد لهم من مياه ومواد أخرى صالحة لإطفاء الحريق .

ـ نعم .. نعم .. أنقذونى .

— إذن أنت لا تطلب رجال المطاف فقط .. بل تطلبهم ومعهم المواد والوسائل الكفيلة بإنقاذك .

ـ نعم .. نعم .. نعم .. أنقذونى .



ــ والله يا أخى أنت حيرتنا .. هل تريدنا أن ننقذك .. أم تريد إطفاء الحريق ؟

ـ إنقاذى أولا .. ثم إطفاء الحريق .

ــ ولماذا لا ننقذك ونطفىء الحريق فى وقت واحد ؟

ـ والله خير وبركة .. حاموت .

ــ هل تعتقد أن مصر ستخسر كثيرا بوفاة سيادتك ؟

ـ لا .. فلديها منى الملايين .. ولكنى أطلب إنقاذى بدافع من الرحمة .

ــ أنت لا تطلب المطافى إذن .. أنت تطلب الرحمة .

ـ نعم .. نعم .. ارحمونى .. أنا أطلب الرحمة .

ــ فى هذه الحالة عليك الاتصال بوزارة الأوقاف .. أوالشئون الاجتماعية .

ـ ولكن المطافى تابعة لكم .

ــ آه .. عدت تتكلم عن المطافى .. لماذا طلبت الرحمة إذن ؟

ـ حاسبونى فيما بعد .. أنقذونى الآن .

ــ نحن نقدر دوافعك للنجاة بحياتك .. لأننا نعرف أن الحياة غالية.. ولكن لماذا تعتقد أننا سنخف لنجدتك .. ما الذى يدفعنا لذلك ؟

ـ الإحساس بالواجب .. الإحساس بالمسئولية .. الإلزام الخلقى .. الواجب الوظيفى .. شرف المهنة .. الكبرياء .. الإنسانية .

ــ نشكرك .. نحن فعلانتمتع بكل ذلك .. وهذا ماسيدفعنا لإنقاذك.. الآن فقط سأسرع بملء الاستمارة الواجب ملؤها قبل أن نتحرك لإنقاذك .. ما هو سبب الحريق ؟

ـ لا أعرف .. ألحقونى .

ــ حاضر .. حاضر .. سننقذك .. ولكن لا يجب التسرع فى ذلك أو الاندفاع .. فى بلاد كثيرة حدثت حوادث لسيارة المطافى بسبب اندفاعها واشتعلت فيها النيران ولم تجد من ينقذها ، لابد من الهدوء ورباطة الجأش .. لابد يا عزيزى من معرفة سبب الحريق .. هل هو حرارى أم

كهربى أم كيماوى ؟ لكى يتسنى لنا تجهيز المادة المطلوبة لإطفاء الحريق .

ـ افترض أن سبب الحريق هو كل ذلك .

ـــ من المستحيل افتراض المستحيل .. من المستحيل أن تجتمع كل هذه العناصر فى مكان وزمان واحد .

ـ اسمع ، النيران تحاصرنى الآن بالفعل .. لا داعى لإطفائها .. انقذونى .. ابعثوا سلم طويل .

ـــ ماذا تقصد بكلمة طويل ؟ .. فى أى دور تسكن ؟

ـ فى الدور الخامس .

ـــ لست فى حاجة لسلم طويل .. أنت فى حاجة لسلم متوسط .

ـ نعم .. ابعثوا واحد متوسط .

ـــ ليس لدينا سلم متوسط .. لدينا سلم طويل .. صالح للعمارات ذات الخمسين دورا فقط .. هل توجد إلى جوارك عمارة خمسين دورا .

ـ نعم ..

ـــ هل تستطيع أن تقفز إليها ثم تصعد إلى الدور الخمسين كى ننقذك منه ؟

ـ لا .. لا .. لا أستطيع هى بعيدة جدا .

ـــ ألا تستطيع الانتقال إليها بأى وسيلة من وسائل المواصلات ؟

ـ لا .. لأننى محاصر بالنيران من كل جانب .. أنا عاجز عن الانتقال لأى مكان .

ـــ غريبة .. هل أنت تتكلم من تليفون شقتك أم من عند الجيران ؟

ـ أتكلم من تليفونى من شقتى .

ـــ هذا معناه أن النيران لم تلتهم أسلاك التليفونات بعد .

ـ نعم .. ولكنها على وشك أن تحترق .

ـــ اطمئن الأسلاك الجديدة التى ركبتها مصلحة التليفونات مضادة للحريق .. يعنى بعد أن تتحول سيادتك إلى رماد .. سيظل تليفونك يعمل ..



ـ والعدة .. هل هى مقاومة للحريق .. ؟

ـــ لا .. لـلأسف .. العـدة بـلاستيك عـادى .. إذا احترقت العـدة .. كلمني من السلك .

ـ آى .. العدة بتسخن .. العدة بتولع .. آه .. الحقو .. أنقذو .. .

ـــألو .. ألو .. ألو .. أنت يا أخينـا رحت فين ؟ ألو .. الغبى ما قالش عنوانـه .. عنوانك فين يـا أستاذ .. سـاكن فين .. آه يا غبى يـا مهمل .. حانعرف مكانك إزاى ؟ .. هو احنا بنشـم على ضهر أيدينا .. يقعد يرغى ساعة فى التليفون ، وما يقولش اسمه .. وفى الآخر يقولوا إن الحكومة لا تسرع فى حل مشاكل الناس .. يا أخينا .. رحت فين ؟

ـ ألو ..

ـــ أيوه .. أنت رحت فين بتتكلم من الشقة ؟

ـ لا . . الشقة لم يعد لها وجود .

ـــ كيف خرجت منها .. ؟

ـ لا أعرف كيف خرجت منها .. ؟

ـــ ما هو رقم التليفون الذى تتكلم منه الآن ؟

ـــ لست أتكلم فى التليفـون .. أنا أكلمك فى قطعـة من سلك التليفـون تمكنت من انتزاعها وأنا انتقل إلى العالم الآخر .

ـــ مش معقول .. أنت تتكلم من العالم الآخر ؟

ـ نعم ..

ـــ معنى ذلك أنك انتقلت لـرحمة الله .. يـا لك من محظـوظ .. أخيرا حصلت على الرحمة التى تطلبها ..

ـ أشكرك .

ـــ ولكنى عـاتب عليك .. لماذا لم تسرع بـذكـر عنـوانك وأنت تقـدم البلاغ .. كيف بالله عليك كنا سنتمكن من إنقاذك ؟

ـ أنـا آسف ، ومع ذلك ليس من حقك أن تعتب على .. لأنك لم تطلب منى العنوان .

ـــ وهل تنتظر حتى أطلبه أنا ؟! إنها حياتك وليست حياتى يا رجل!

كان يجب أن تذكره على الفور .. فى المرة القـادمة عليك أن تذكر العنوان فورا .

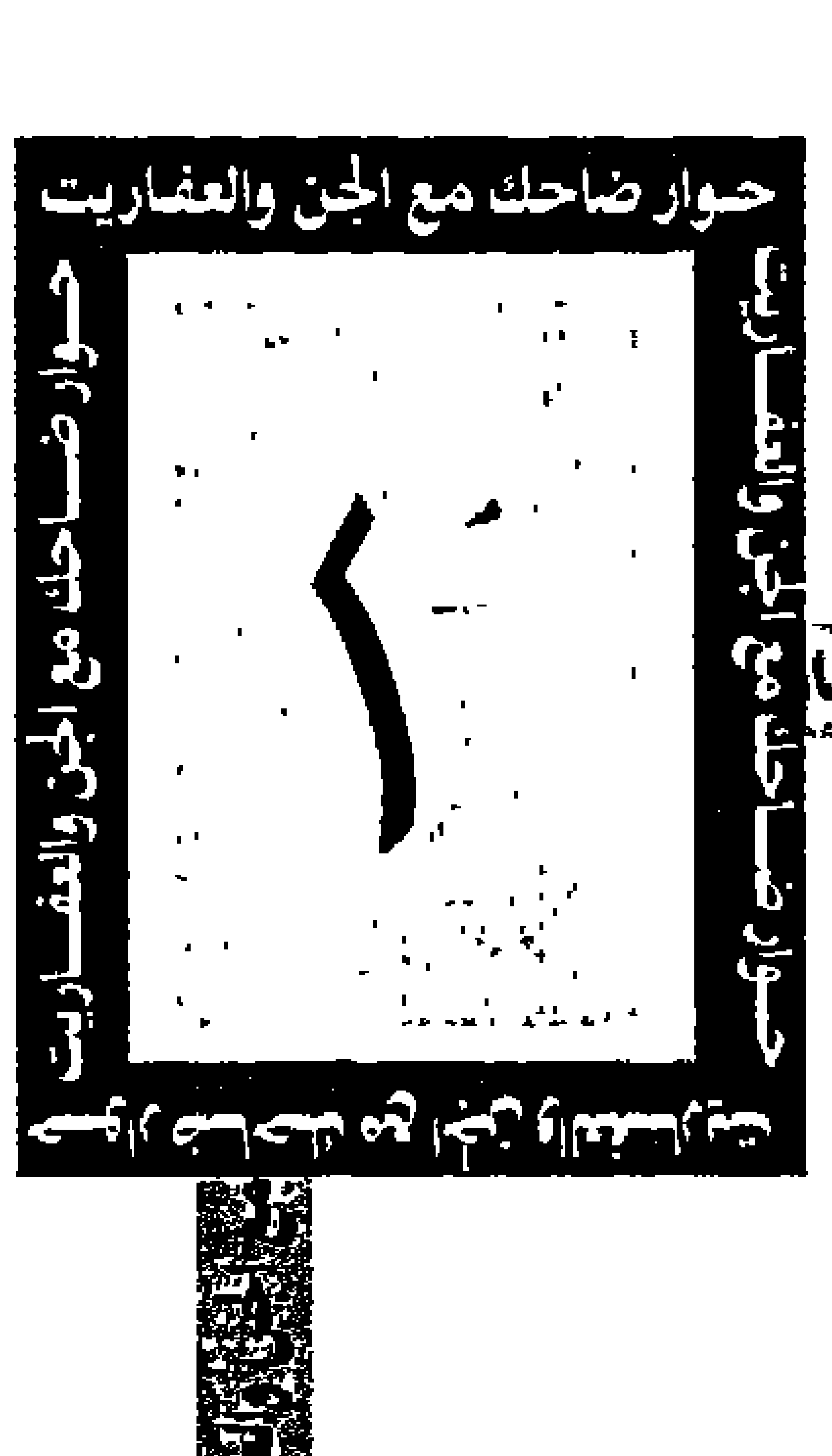
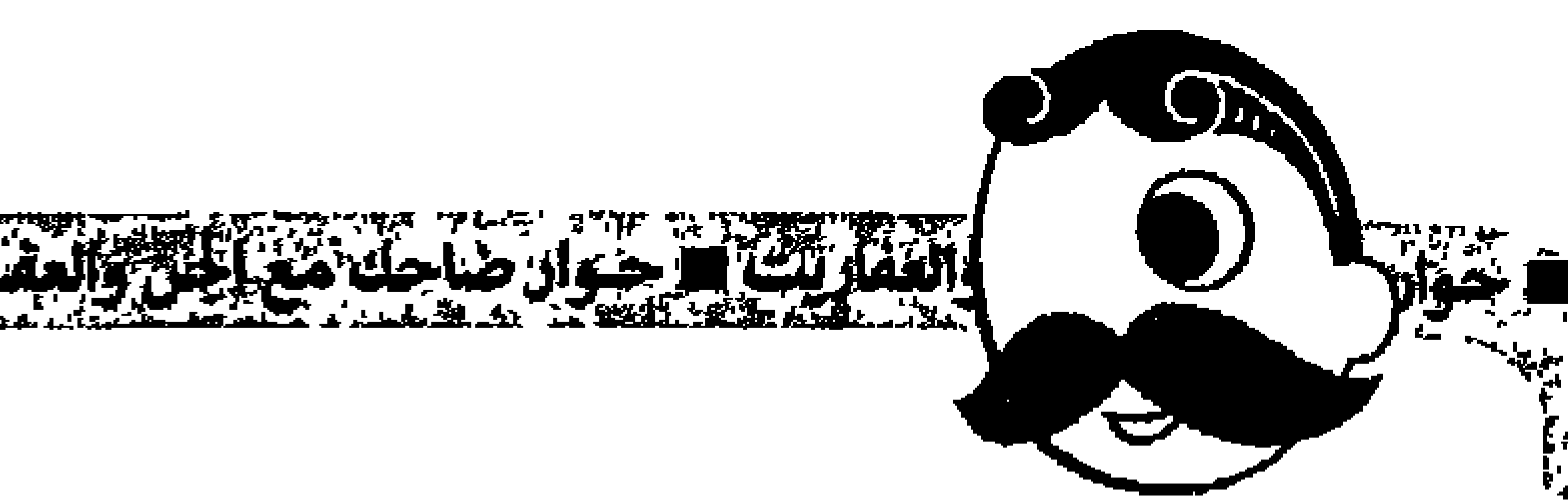
ـ لن تكون هناك مرة قادمة يا سيدى .. لقد مت .

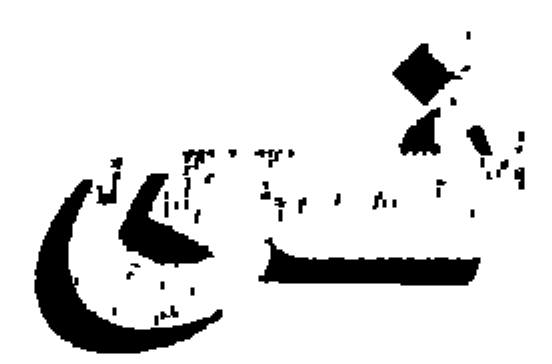
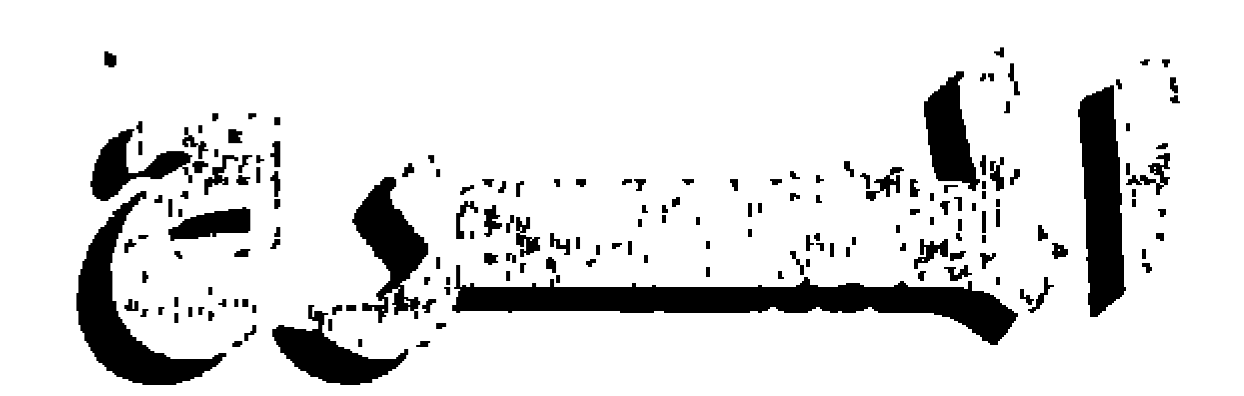
— آ ، آه ، نسيت .. وبما أنك مت .. لماذا تتصـل بنـا ؟ هل لتعطلنـا وتشغلنا عن أداء واجبنا ؟ ولماذا سمحوا لك بـالاتصال بنا من عندك ؟ .. من أين تتكلم ؟

ـ من جهنم يا سيدى .

— آه .. أنا آسف .. لابـد أنك فى الدنيا كنت تعطل مصـالح العباد .. وماذا تريد الآن ؟ هل تعتقد أننا قادرون على إنقاذك من نيران الجحيم ؟

ـ لا .. طبعـا .. هل أناغبى ؟ المسألة ببساطـة أننى اتصل بك لأقول لك إنى اكتشفت هنا بعـد فوات الأوان ، إنـه لا توجد على الأرض طـريقة لعلاج الغـلاسة ولا يـوجد عـلاج لتخفيف الدم الثقيل ، ولا يـوجد دواء للتخلص من البلادة .. شكرا ، اقفل السكة .


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت

حوار ضاحك مع الجن والعفاريت


ثان

لابد من عقاب صارم لفراشى المسرح ، فقد حدث عدة مرات أن اشتكى بعض الزبائن من أن مقاعد المسرح ليست نظيفة ، فبعد نهاية العرض اكتشفوا أن ملابسهم قد اتسخت بفعل الرمال الناعمة التى تكسو المقاعد الجلدية الفخمة ، الغريب فى الأمر هو وجود هذه الرمال فى القاهرة التى تبعد عن أقرب شاطىء بحر أكثر من مائتى كيلومتر .

ولكن خصم ثلاثة أيام من مرتب الفراشين المسئولين عن نظافة المسرح لم تفلح فى القضاء على هذه الظاهرة التى امتدت أيضا لغرف الممثلين خلف الكواليس ، وكادت تحدث مصيبة يترتب عليها إلغاء العرض عندما اكتشفت بطلةالمسرحية أن الرمال الناعمة أفسدت أدوات المكياج الخاصة بها فصرخت : هاتوا لى مدير الفرقة .. مش حاشتغل الليلة دى .. مش حاشتغل إلا لما تبطلوا فوضى .

وجاء مدير الفرقة مسرعا يسترضيها ، لقد امتلأت علب الكريم بالرمال الناعمة ، كما أن ملابسها أيضا كانت تكسوها الرمال ، استدعى مديرالفرقة المسئول عن عمال النظافة وصفعه بالقلم ، أقسم الرجل وجسمه كله يرتعش أنه ينظف الغرفة بنفسه وأنه لا يعرف مصدر هذه الرمال ،فانهال عليه المدير صفعا وركلا ولم ينقذه إلا تدخل البطلة التى هدأت بعد أن شاهدت شخصا ما يعاقب إرضاء لخاطرها .



حدث شيء غريب في تلك الليلة ، في أول استعراض راقص ، ومع وقع أقدام الراقصين والراقصات على خشبة المسرح بدأت تتصاعد سحابات من التراب كما لو أن يد النظافة لم تمتد إليها منذ سنوات ، ضحك المتفرجون في سخرية مما يحدث على خشبة المسرح .

بعد نهاية العرض لم ينصرف مدير الفرقة ، جمع كل الفراشين والعمال وطلب منهم أن ينظفوا المسرح .. كل المسرح أمامه ، لا مفر من الاستعانة بالتكنولوجيا المعاصرة ، اشترى لهم مكنستين كهربيتين ، وعند الفجر تأكد بنفسه أنه لا توجد ذرة تراب واحدة في الصالة أو على خشبة المسرح أو في غرف الممثلين ، وطلب منهم أن يأتوا في الغد قبل العرض بساعتين ليواصلوا تنظيف المسرح تحت إشرافه مرة أخرى ، هذا ما حدث بالفعل ، قبل رفع الستار ، كانت كل أجزاء المسرح ومقاعد الصالة تلمع من فرط نظافتها ، وفي استراحة الفصل الأول أبلغوه أن البطل يطلبه في الكواليس لأمر هام فذهب إليه مسرعا .

ـ خير يا قمر .. ؟

ـــ مش حاتشوفوا لكم طريقة في الرمل ده ؟ أنا ما عرفتش اشتغل النهارده .. الرمل ملا بقى .. بقى كان مليان رمل .. مش عارف انطق ولا جملة .

ـ والرمل حاييجي منين ؟

ـــ وأنا مالي .. بتسألني ؟ روح ادخل المسرح ومرر إديك على الديكور .. كله رمل .. فيه ناس اشتكت لي ، الكراسي كلها رمل ، وأرضية الصالة والطلبات اللي طالعة من البوفيه .. حتى قزايز الحاجة الساقعة فيها رمل ..والسندوتشات بتقرقش .. لدرجة أني ارتجلت وخرجت عن النص ودخلت حكاية الرمل في الحوار .. والناس كانت بتضحك .

ـ متأكد أنه رمل ؟

ـــ رمل .. تراب .. أسمنت .. زفت .. ما عرفش .

ـــ والله العظيم أنا أشرفت على نظافته بنفسي لحد الفجر .. وقبل

مانفتح الستارة بساعتين جيت وخليتهم ينضفوه قدامى .

— ونضفوا أودتى دى ؟

ـ أيوه ..

— طب اتفضل .

تناول البطل ملابسه المعلقة على الحائط وأخذ ينفضها فتصاعدت منها سحابات من التراب الناعم ، مرر أصابعه على المقاعد فتركت آثارا على التراب الناعم الذى يكسوها . نظر له البطل ببرود وقال له : مفيش داعى حضرتك تكذب وتقول إنك أشرفت على نظافة المسرح بنفسك .. إذا المسرح ما نضفش بكره .. شوفوا حد غيرى .

أصيب مدير المسرح بالذهول ، صعد إلى سطح المسرح ، خرج ودار حول المبنى ، لابد أن هناك مصدرا لهذه الرمال أو لهذا التراب ، من المستحيل أن يظهر من تلقاء نفسه ، عندما عاد إلى غرفة مكتبه وجد الرمال تكسو كل أثاثاتها بالرغم من أنها كانت نظيفة تماما عندما تركها منذ دقائق ، بدأ يفكر فى خاطر مفزع ، لا أحد قادر على تنظيف المسرح من هذه الرمال .

مرة أخرى طلب من عمال النظافة أن يتجمعوا بعد العرض ، كما طلب منهم الحضور إلى المسرح قبل العرض بساعتين فى اليوم التالى ، وطلب من البطل والبطلة وعدد من الممثلين أن يأتوا قبل العرض بنصف ساعة ليتأكدوا بأنفسهم من نظافة المسرح ، لابد أن تخريبا حدث فى الأيام الماضية من فرقة مسرحية منافسة ، على الأرجح هناك شخص غريب اندس بين العاملين فى الفرقة وتسبب فى وجود هذا التراب الناعم ولابد من اليقظة من الجميع للتعرف عليه .

جاء الممثلون وتأكدوا قبل رفع الستار أن المسرح نظيف تماما ولكن أثناء عرض الفصل الثانى استدعوا المدير إلى الكواليس ، وكان الرعب مرتسما على وجه البطلة : المسرح ده مسكون .. فيه عفاريت .

أحد الممثلين الثانويين قال بهدوء : يا هانم .. أنا باساهر بالليل مع زملائنا اللى بيشتغلوا فى المسرحيات التانية ،



المسارح كلها مليانة تراب وخلاص الممثلين خدوا على التراب والمتفرجين كمان .. مالوش حل .

صاح البطل : يعنى إيه .. حانشتغل إزاى ؟

قال مدير الفرقة : حانشتغل زى ما بنشتغل .. حاعمل لك إيه ؟ مش قال لك إن كل المسارح مليانة تراب ؟

فقد البطل أعصابه وصرخ : بس أنا عاوز مسرح نضيف .

فصرخ مديرالفرقة هو الآخر : وأنا كمان عاوز مسرح نضيف .. حاجيبهولك منين ! أهو نستحمل شوية ونشتغل .

ـ وبعدين ؟

وبعدين حاتتعود عليه .. أنت مش بتقول إنك دخلت التراب فى الحوار والناس ضحكت ؟ .. يبقى خير .. حانجيب المؤلف ونقول له على شوية مواقف مضحكة عن التراب وهو يكتبها لنا . وبعد كده نفكر فى عرض مسرحى مبنى كله على فكرة الوساخة .. وأنا واثق إنها حاتضحك طوب الأرض .

ـ وهو ده الحل ؟

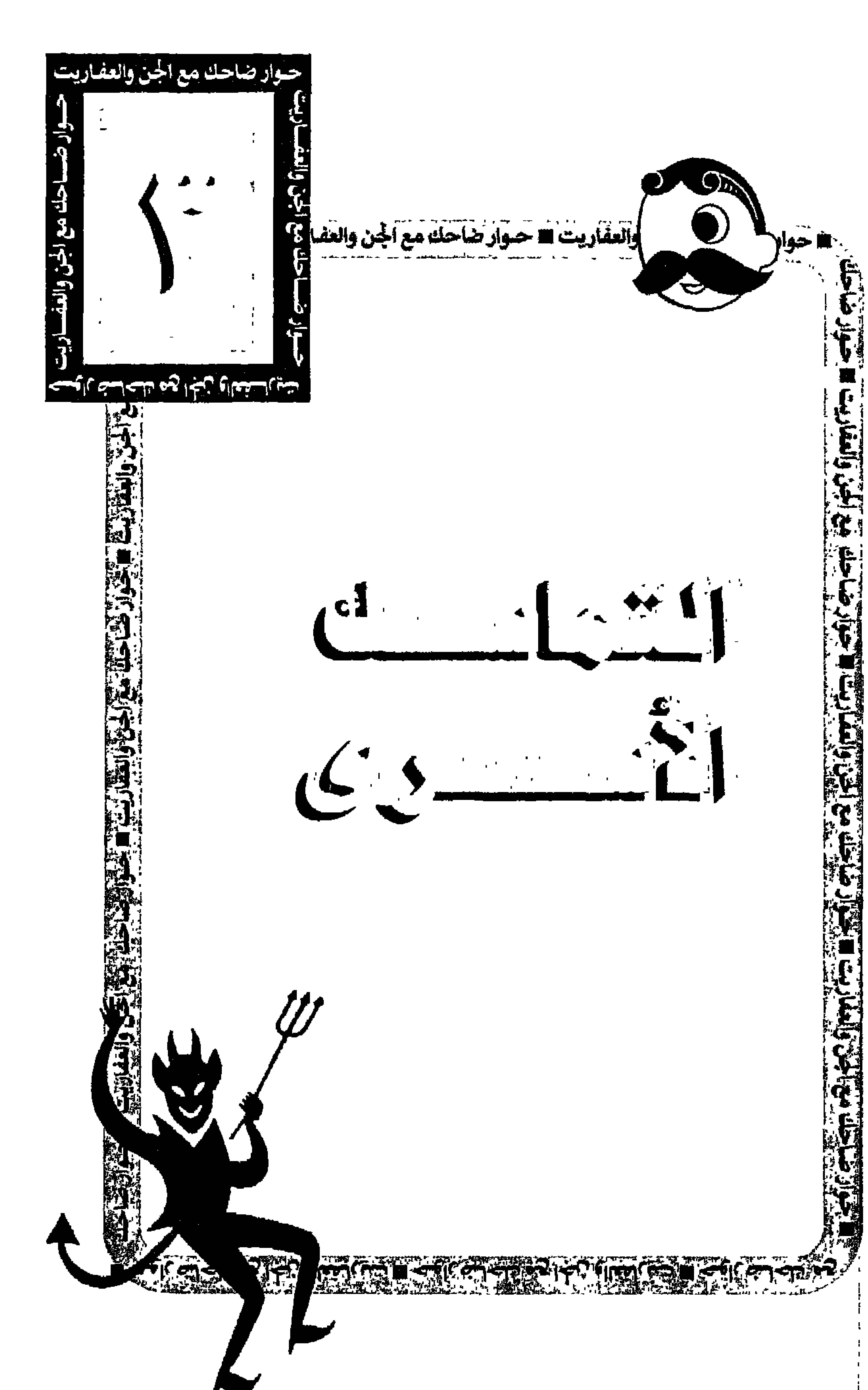
ـ أمال الحل إيه ؟ .. نقفل المسرح .. ونقفل بيوت الناس ؟ مفيش داعى نعقد المسائل ، ياما المسرح المصرى قابل مشاكل واتغلب عليها .. بعد شوية الناس حاتتعود .. وفى يوم من الأيام لو قدمت لهم مسرح نضيف مش حايشوفوه .. ولا حد يرضى يدخله .

أحد الممثلين الثانويين وكان يعمل طبيبا قال بهدوء : ده كلام صحيح . التراب الناعم ده زى النيكوتين فى الأول الإنسان بيتضايق منه .. لكن الجسم لما يتشبع بيه يبقى عاوزه على طول .. والإنسان فى الحالة دى يبقى فى حالة مزاجية وحشة جدا لو انحرم منه .

أكمل الممثلون العرض فى ضيق ، وفى اليوم التالى كان ضيقهم أخف ، مرت أيام العرض بهدوء بالرغم من تزايد كمية التراب على خشبة المسرح وفى الصالة ، لاحظ مدير المسرح أن أحدا لم يعد يشكو ، بل ولاحظ بعض المراقبين أن الإقبال كان يتزايد على المسارح التى يزيد

فيها التراب عن غيرهـا ، بعض الفرق المسرحيـة استغلت الوضـع الترابى الجديد بـذكاء ، رشت خشبة المسرح ومقاعـد الصالة بالميـاه من خلال أدشاش مركبة فى سقف المسرح ونشرت فى إعـلاناتها ، المسارح الأخرى فيها تراب فقط .. الأمر عندنا يختلف .. تعالى واستمتع بالوحل .

٣



التماسك الأسرى

شائعة

الخبر أن شخصا وزوجته اشتركا فى سرقة أحد المارة فى شارع كورنيش النيل بعد أن هدداه بمطواة، وكانت حصيلة العملية « أحد عشر جنيها مصريا » وهدداه بالذبح إن هو أبلغ الشرطة ، لكن الضحية بحث عن أقرب أمين شرطة وأبلغه بالواقعة ، قام أمين الشرطة بتحريات سريعة عرف منها أن المجرم وزوجته سارا فى اتجاه أحد الكازينوهات على النيل فتوجه إلى هناك ومعه المجنى عليه حيث وجدا الجانى بالفعل وزوجته فقبض عليهما واعترف الرجل وزوجته على الفور بجريمتهما والباقى معروف طبعا .. النيابة .. ثم السجن .

ـ أنت تحيرنى معك يا عزيزى .. أية أهمية لهذا الخبر التافه ؟ حادث سرقة انتهى فى لحظات بالقبض على الجانى .

— ولكن الجانى ليس لصا محترفا ولا حتى هاويا .. هو موظف حكومى .. موظف فى وزارة المالية كما يقول الخبر .

ـ مستحيل .. فى الغالب فراش أو شىء من هذا القبيل .

— الرجل فى اعترافاته قال : إنه كان فى حاجة إلى المال ففكر بعد تناول طعام الإفطار وأشرك معه زوجته فى التفكير فقررا أن يسرقا أول شخص يقابلانه ، حدث ذلك قبل العيد بساعات ، لو أنه كان فراشا أو شيئا من هذا القبيل لما احتاج لمال قبل العيد ، هذا



النوع من البشر قد يكون مفلسا طـول العام غير أنه فى المواسم والأعياد يهبط عليه بعض الثراء ، يكفى أن يقترب من أى موظف كبير ليقول له : كل سنة وأنت طيب يا سعادة البيه .. ربنـا يخلى لنا سعادتك يا فندم .. عند ذلـك يعطيه ما فيـه القسمة .. لكن من المؤكـد أن هذا الـرجل يحتل درجة وظيفية تجعل من المستهجن أن يقول لأى مخلـوق : ما تنساناش فى العيدية يافندم ربنـا يخليكم .. هو موظف فى وزارة المالية بالفعل كما يقول الخبر .

ـ ولكن الموظفين بيتصرفـوا .. لا أحد يعيش بمرتبـه .. هذا مستحيل عمليا .

ــ نعم ، يتصرف الموظف إذا أتيحت لـه امكانيـة التصرف ، إذا كان عمله متصلا بالجمهور ومتصلا بـالأفراد .. ولكن لنفرض أنه مدفون فى إدارة ما تعمل فى الأرقام فقط بعيـدا عن أصحاب الجاه .. أى أنه منزوع السلاح تماما .. لا أحد سيقف فى مرمى نيرانه .. ماذا يفعل .

ـ لم أمر بهذا الموقف من قبل .

ــ الأمـر ليس فى حاجـة إلى تفكير عميق ، لابد أن يسرق ، وبما أنـه محروم من وسائل السرقة المعروفـة .. لذلك لجأ إلى أبسط أشكالها ، أن يستوقف شخصا ويقول له طلع اللى فى جيبك .. وبما أنه ليس محترفا ، لم يختف من مكـان الحادث ، بل ذهب هـو وزوجتـه ليحتفـلا بهذه المناسبـة ، وبالتأكيد أخـذا يفكران فى مستقبلهما الزاهر بعـد أن أصبحا لصين .. إن رحلة الألـف ميل تبدأ بمطـواة كما تعرف .. لقـد تصور أن الزبـون التالى سيكون معه آلاف الجنيهـات .. الجاهل المسكين لا يعرف أن هؤلاء الذين يخرجون إلى الشـارع بعد الإفطار مباشرة من المستحيل أن يحملوا فى جيوبهم أكثر من المبلغ الذى سرقاه .

ـ لقـد بدأت تثير اهتمامى يا عـزيزى .. لابد أنك تـرى شيئا مهما فى هذا الحادث .

ــ نعم ، هو حـادث كاشف ، ولكنى لا أرى فيـه حادث سرقـة ، هو حادث انتحار أسرة ، عندمـا طلب الرجل من زوجته أن يتحولا إلى لصين

وافقت على الفور ، هذا معناه أن الدافع الحقيقى لم يكن اللصوصية بل الضياع ، أعلى درجات التعاسة .. أنا أريدك أن تتخيل المشهد قبل ضرب المدفع بلحظات .

ـ عملت لنا إيه أكل على الفطار ؟

— ولا حاجة .. استنيتك تجيب حاجة معاك .

ـ وأنا حاجيب منين ؟

— كنت استلفت .

ـ استلفت .. استلفت من كل اللى أعرفهم ، حاستلف من مين تانى ؟

— خلاص .. نستنى ثمار الإصلاح الاقتصادى .

— بس أنا جعان دلوقتى .. والإصلاح الاقتصادى مش حايجيب نتيجة قبل المدفع .. اسمعى تيجى نسرق ؟

— أنا معك على الحلوة والمرة .

ـ إيه الحلو .. إيه المر ؟

— المر اللى إحنا عايشينه .. والحلو هو السرقة .

ـ مش الست اللى ساكنة جنبنا جوزها حرامى ؟

— آه .. ومهنيها .. دايما داخل عليها باللحمة والسمك والفراخ .

ـ طب روحى شوفى جوزها بيسرق منين .. واسأليها إذا كان عاوز حد يساعده .

— دارى على شمعتك تقيد .. هو أحسن منك فى إيه .. ده أنت ممكن تبقى حرامى أحسن منه ألف مرة .. اطلع دلوقتى واسرق أول واحد تقابله فى اشارع .

ـ طب تعالى معايا .

— أراقب لك السكة ؟

— لا .. تقفى معايا .. عشان أنا خايف .

خرجا إلى الشارع ، واستوقفا الضحية ، قال له : أقف عندك ، أنا ضابط شرطة ، استنى لما أفتشك .. نظرا له الضحية بهدوء .. من معلوماته السابقة أن ضباط الشرطة



لايصطحبـون معهم زوجـاتهم أثنـاءالخدمــة ، لـذلك رد عليـه بهدوء : حضرتك مش ضابط شرطة .

ـ اخرس يا كلب .. أنا ضابط شرطة .

ـــ والست اللى معاك دى مين ؟

ـ ظابط زميلى ، متنكر على هيئة واحدة ست .

ـ خلاص .. خدنى على القسم .

إنهار مشروع اللصوصيـة عند أول خطـوة، لابد من العنـف ، وهنا أخرج المطـواة : خلاص أنا مش شرطة .. أنـا حرامى .. حرامى جـديد .. طلع اللى فى جيبك .. ولو بلغت الشرطة حادبحك .

السؤال هنا هو : من المجنى عليه فى هـذه الواقعة ؟ يا صديقى أنتم فى حاجة لواقع جديد بقوانين جـديدة ، من يرتكب جريمة من هذا النوع لابد أن يحاسب كفيله .. لأنه أوصله لذلك . من هو كفيله ؟

ـ نحن لا نأخذ بنظام الكفيل .

ـــ ولكنه يعمل عنـد الحكومة .. بصراحة أنـا بدأت أشعر بالـدهشة من الطـريقة التى تـدير بها الحكـومة أمـوركم ، كيف توفـر الحكومـة الوســائل التى يحصل بها بعض الناس على « الـرولزرويس » ولا تــوفر لبعض النــاس طبقا من الفـول .. يجب أن يكـون فى كل إدارة حكوميـة مطعم كبير يأكل فيه الموظفون قليلـو الحيلة مجانا ، كم سيكلفكم ذلك ؟ « بشرط منع التيك أواى » .

ـ فى الغالب هذا الـرجل بطل قصتك شرير بطبعه .. إنها ليست قصة الجوع .. لقد كان بوسعه هو وزوجتـه أن يأكلا فى إحدى موائد الرحمن المنتشرة فى القاهرة .. بعض هذه الموائد تقدم طعـاما مستجلبا من فنادق الخمس نجوم .

ـــ كبرياؤه منعه بالتأكيد .. لابد أنه فكر فى ذلك هو وزوجته وخافا أن يتعرف عليهما أحد .. هو موظف كما قلت لك .

ـ كان عليهما أن يذهبا إلى مائدة للرحمن بعيدة .

ـــ وفلوس المواصلات ؟ أؤكد لك أن السرقـة هى الحل الوحيد الذى

يصل إليه العقل البشرى فى هذه الظروف .. أنا أريد الترافع عن هذا الرجل وزوجته فى المحكمة لكى أحصل لهما على البراءة .

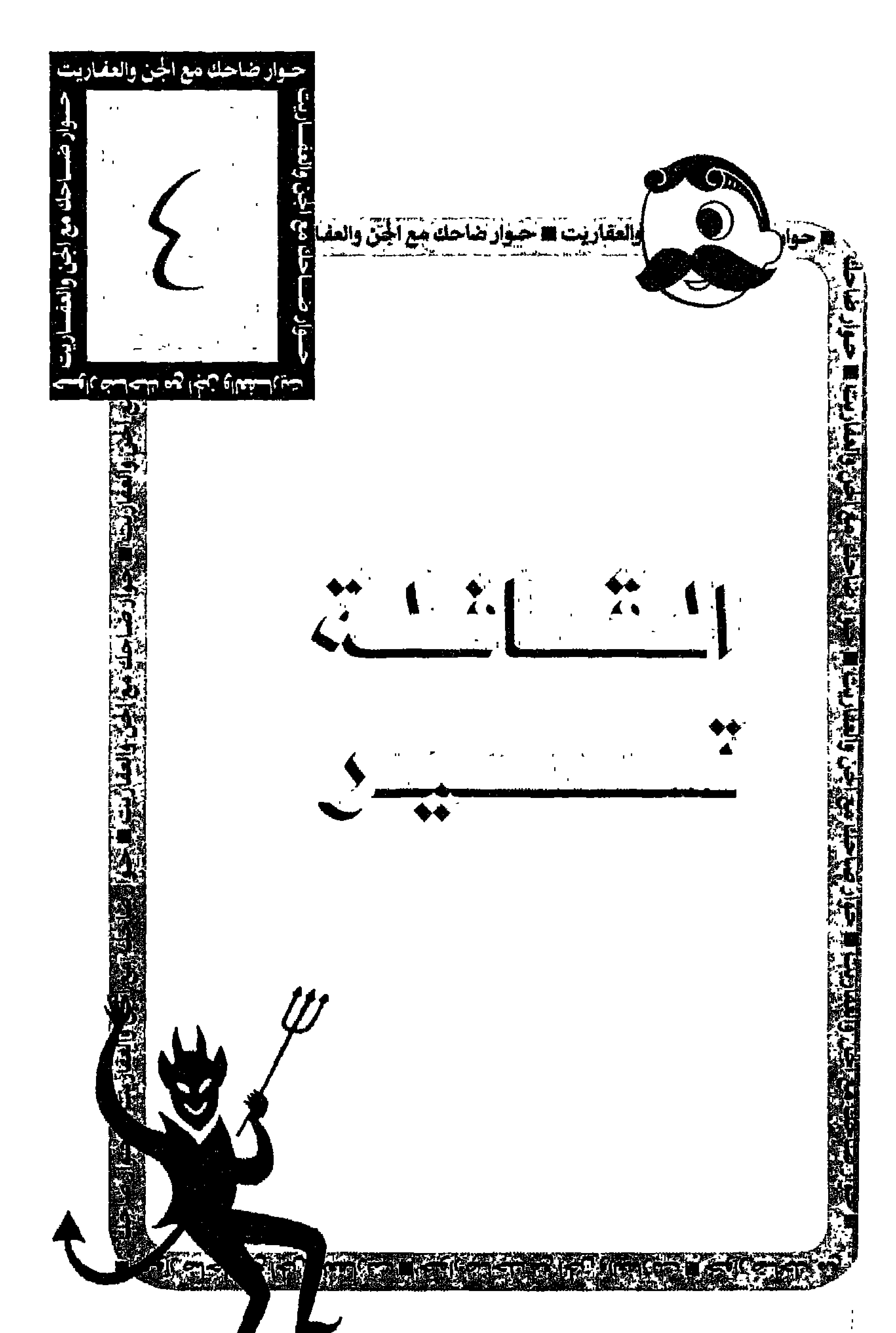
ـ أرجوك.. كن واقعيا ، اترك هذا الرجل وزوجته لمصيرهما الجميل ، سيدخلان السجن ، وهناك سيتعرفان على كبار اللصوص ويتعلمان السرقة على أصولها ، وبعد عدة أعوام سيجلسان معا على مائدة العشاء ويدور بينهما الحوار التالى :

— فاكر يا حبيبى لما كنا شرفاء ومش لاقيين ناكل ؟

ـ حاتفكرينى ليه ؟ دى أيام سودة .. الله لا يعيدها .

— على فكرة ياعزيزى أنت متشائم جدا .. أنت ترى هذه الواقعة مؤشرا على انهيار خطير .. بينما أراها أنا دليلا قويا على التماسك الأسرى .. كم منا يصارح زوجته بما ينتوى عمله ، وكم زوجة ترحب بأن تشارك زوجها فعلا خطيرا مثل اللصوصية ؟ إنها أعلى درجات الإخلاص والوفاء والتماسك الأسرى .

— معك حق .. ما تقوله يمثل أعلى درجات الكذب وخداع النفس وهو ما يرشحك لاحتلال منصب كبير .



الثالثة
ثـــيـر

لابـــت أن هناك خللا فى باب الثلاجة ، كانت تفتح وتغلق من قبل فى سهولة ونعومة ، فشلت فى فتحها ، أشعر بالعطش ، المياه مقطوعة ولكن توجد زجاجات مياه فى الثلاجة . ناديت البواب وهو رياضى سابق حاصل على بطولة البحر الأبيض فى حمل الأثقال ، فشل هو الآخر ، جارى ضابط فى الأمن المركزى حاصل على فرقة صاعقة استعنت به ، بذل محاولات مضنية لمدة ساعتين ، قال لى وهو يجفف عرقه : أعرف مجرما أفرج عنه حديثا ، هو لص خزائن عالمى .

تحدث مع قسم الشرطة باللاسلكى المحمول ، أرسل القسم مجموعة قبضت على الرجل وجاءت به ، بعد فك القيود الحديدية من يديه رفض بإصرار فتح باب الثلاجة ، قال إنه تاب وأقسم بالطلاق وبأيمانات مقدسة أنه لن يفتح أى باب من أى نوع سوى باب شقته ، وأنه ليس على استعداد لأن يحنث بقسمه ويدخل النار لمجرد أن سيادتى يريد أن يشرب .

شعرت بالغضب وكرهت الثلاجة ، قررت أن ألقى بها من البلكونة ، حتما ستنفتح ، اتصل الضابط بالقسم ، تم تأمين الشارع ، أغلق من الناحيتين ، أنا وهو والبواب تعاونا وحملنا الثلاجة إلى البلكونة فى الدور الخامس وقذفنا بها إلى الشارع ، عندما اصطدمت بالأرض كان لها صوت انفجار قنبلة ، عندما نزلت

إلى الشارع كان بـابها مفتوحا ، تكسرت كل الزجـاجات حتى البلاستيك منهـا ، سـالت الميـاه العاديـة والمعـدنية والغـازية على أرض الشـارع ، تذكـرت مشـهدا مشابها فى قصة مـدينتين لتشارلز ديكنـز ، وقع برميل ممتلىء بـالنبيذ من إحـدى العـربـات ، انكسر البرميل وسال النبيـذ على أرض شارع سان انطوان فامتلأت به بعض الحفر والشقوق ، تسارعت الناس تبلل مناديلها بالنبيذ وتعصرها فى أفواهها .

كانـت الثلاجة ممتلئـة بالسـوائل فقط ، سـالـت على أرض الشارع ، البلاعـات مسدودة ، بسرعة غريبـة ارتفع منسوب المياه ، كان تقـديرى خاطئا لكمية المياه الموجودة فى الثلاجة ،غرقت الأدوار الأرضية ، مازالت المياه تـرتفـع .. النجـدة ، إلحقونـا يا نـاس .. افتحوا المجـارى .. سلكوا البلاعـات .. سلكوا الحكـومة.. سلكونـا .. سلكوا أى حـاجة .. لا أمل فى تسليك أى شىء..

صعدت النـاس إلى الأدوار العليا .. مرت السـاعات ثم مـرت الأيام ، الحمـد لله لم تحدث خسـائر فى الأرواح ، الخسـائر فى الأمتعـة فقط ، ولكن كل متـاع الـدنيا زائل كما تعـرف .. بقى الجميع على قيـد الحيـاة فوق الأسطح، مازلت أشعـر بالعطش ، خفت أن أشرب من المياه ، فهى بالتأكيد ملوثة .

تذكرت قصيدة « كولردج » الشهيرة ، الملاح العجوز ، مياه .. مياه .. مياه فى كل مكان ولا نقطة واحدة صالحة للشرب .

من فـوق سطح أحـد المنازل اتصـل أمين الشرطة من خـلال جهـاز اللاسلكى المحمول بجهة غير معـروفة : عمليات الإدارة إشارة .. عمليات الإدارة إشارة .

ـ ابدأ الإشارة .

ـــ بعد مساء الخير يافندم ، نحن نغرق .

ـ هل هى السيول ؟

ـــ لأ يـا فندم بعـد مساء الخير .. عـدة زجـاجات ميـاه انكسرت فى الشارع فأغرقت الحى يا فندم .

ـ استقبلت الإشارة .. شكرا .

لم يسمع أمين الشرطـة الجملة الأخيرة فقد كـان يسبح بقـوة متجها لسطح منزل أكثر ارتفاعا .

●●●

رئيس مجلس الحى لحسن الحظ يسكن فى نفس الشـــارع ، من الواضح أنه كـان مستعدا لهذه الكارثة منذ وقت طويل ، فـوجئنا بطائرة هليوكوبتر كبيرة تحوم فـوق منزله ثم تهبط برفق فـوق السطح . كانت تحمل أثاث مكتبه بالكامل وتـواليت رحلات وثلاجة كبيرة وأدوات مطبخ وعددا كبيرا من الصحفيين والمصورين . صرح لهم بأنـه لن يترك موقعه إلا بعد شفط المياه كلها .

رجال الإنقاذ النهرى رفضوا الحضور ، قال المسئول عنهم : كما هو واضح من اسمنا .. مجال عملنــا هو الأنهار .. مـا هو اسم النهـر الذى سنذهب إليه ؟

ـ هو نهر جديد لم يطلق عليه أى اسم حتى الآن .

ـــ كيف تطالبنى بعمليات إنقاذ فى نهر لا اسم له ؟ لابد أن يكون له اسم معتمد على الخريطـة .. هل تتصـور أننى سأبلغ رؤسـائى بأننى ذاهب فى مهمة إلى مكان ليس له اسم ؟

ـــ رئيس الحى موجـود معنا فـوق سطح منزلـه على ضفاف النهـر الجديد ، سنطلب منه أن يختار له اسما .

ـــ هـو مسئـول عن الأرض اليـابســة فقط .. الأنهار تـابعـة لإدارة المسطحات المائية .. هل هذا النهر مسطح؟

ـ لا أعـرف ماذا تقصد بكلمة مسطح .. ولكنـه على الأقل دفع الناس للحياة فوق السطوح .

فشلت فى إقنـاع الضابط ، لابـد من الاستعانـة بالضفـادع البشرية ، القائد المسئول عنهم قال لى غاضبا : أنا الذى ربيت رجالى على العمليات الخطـرة أثناء الحرب .. هل أطلب منهـم الآن الغوص فى أنهار الشوارع والحوارى والأزقة ؟



ـ معلهش .. عشان خاطرنا .. أنت ورجالك يا سيدى تابعون للمؤسسة الوحيدة القادرة والمنضبطة ، كل مؤسساتنا المدنية مهلبية كما تعلم .

— حتى المهلبية أكثر تماسكا من ذلك .. ماذا تريدون منا بالضبط ؟

ـ أن تنقلوا البشر من أسطح المنازل .

— إلى أين ؟

ـ إلى أسطح منازل أخرى .

— أنتم ترتكبون أسوأ فضيحة فى التاريخ ، سيرى الناس صورة رجالى وهم يغوصون فى الشوارع وليس فى المحيطات .

ـ بالعكس يا سيدى ، سيحترمنا الناس جدا ، لأننا شعب مبدع ، مشاكلنا أيضا لابد أن تتسم بالإبداع والغرابة .. من على الأرض شاهد ضفدعا بشريا يعوم أمام منزل ؟

لا توجد أسطح منازل أو أى أماكن أخرى ننقل إليها البشر ، أقنعناهم بركوب القوارب المطاطية فى رحلة نهرية شبه سياحية وتناول وجبة غداء أو عشاء أثناء الرحلة ، نجحت هذه الفكرة فى تهدئة أعصابهم المتوترة . كان رئيس الحى مستعدا « بساوند سيسستم » كبير ، أدار شريط عايدة ، وحدثت المفاجأة الكبرى ، جاءت عايدة شخصيا ، فهلل الناس فى فرحة ، كانت حزينة ولكنها غنت من أجل سكان الحى ، كانت ترتدى ملاءة لف سوداء تحتها ملابس فرعونية شفافة محتشمة ، وتلف رأسها بمنديل بأوية منقرش بالتوتر . وقفت بقوامها الرشيق بالإضافة لأضواء النجوم القادمة من المجرات المنعكسة فى عذوبة على سطح المخرات أعطت للمكان سحرا طاغيا لاينسى .

جاءت لنشات قوية تحمل الصحفيين ومراسلى وكالات الأنباء العالمية ، شعروا بالدهشة عندما عرفوا السبب فى حدوث هذا الطوفان .

أحد الناس كان يبنى مركبا صغيرا فوق سطح منزل ويصيح : اركبوا معى أو ستموتون جميعا .

كان مجنونـا بالتأكيد ، لأن المياه وصلت للـدور الرابع فقط ، وصرح مسئـول طوفـانى فيضانى سيـولى مخراتى متخصص أنها لا يمكن أن تتعدى الدور السادس أو العاشر فى أسوأ الاحتمالات .

لابد من تسليك البـلاعات ، واحـد من المسئولين قـال لى وهو يسبح بجوارى بمهـارة : حتى عندمـا نسلكها ، كل هـذه المياه ستصب فى حى آخر وتصنع نهرا آخـر ، الحل الوحيد هـو أن ترتفع درجـة حرارة الجو إلى مائة درجة مئوية فتغلى هذه المياه وتتبخر على الفور .

على شـــاطىء نهرنـــا الجديـد جلس رجل عجـوز يغنى فى شجن واستمتاع . لفت نظـر المراسلين الأجانب فأمطـروه بالأسئلـة قال لهم : السعـادة شعـور داخلى ينبع مـن ذات الإنسـان . ليس مهما مـا يحدث حولك ، لأنه يحدث بعيداعنك ، خـارج ذاتك .. المهم أن تكون سعيدا من الداخل .

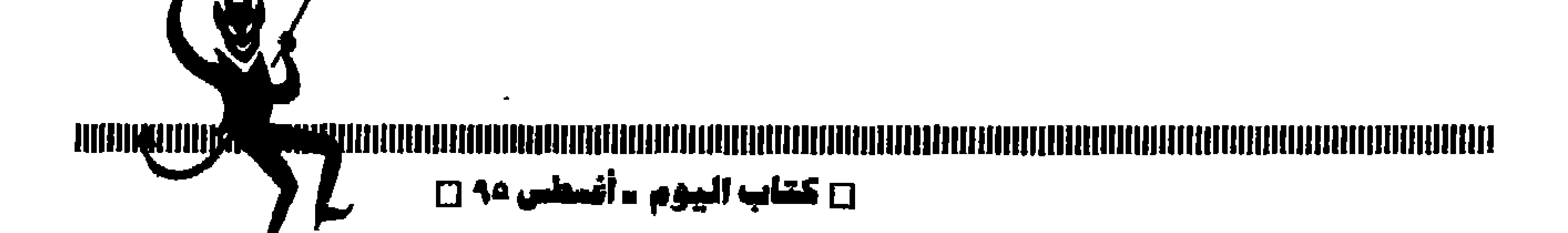
ـ بالتأكيد أنت تتمتع بقدر كبير من الحكمة .

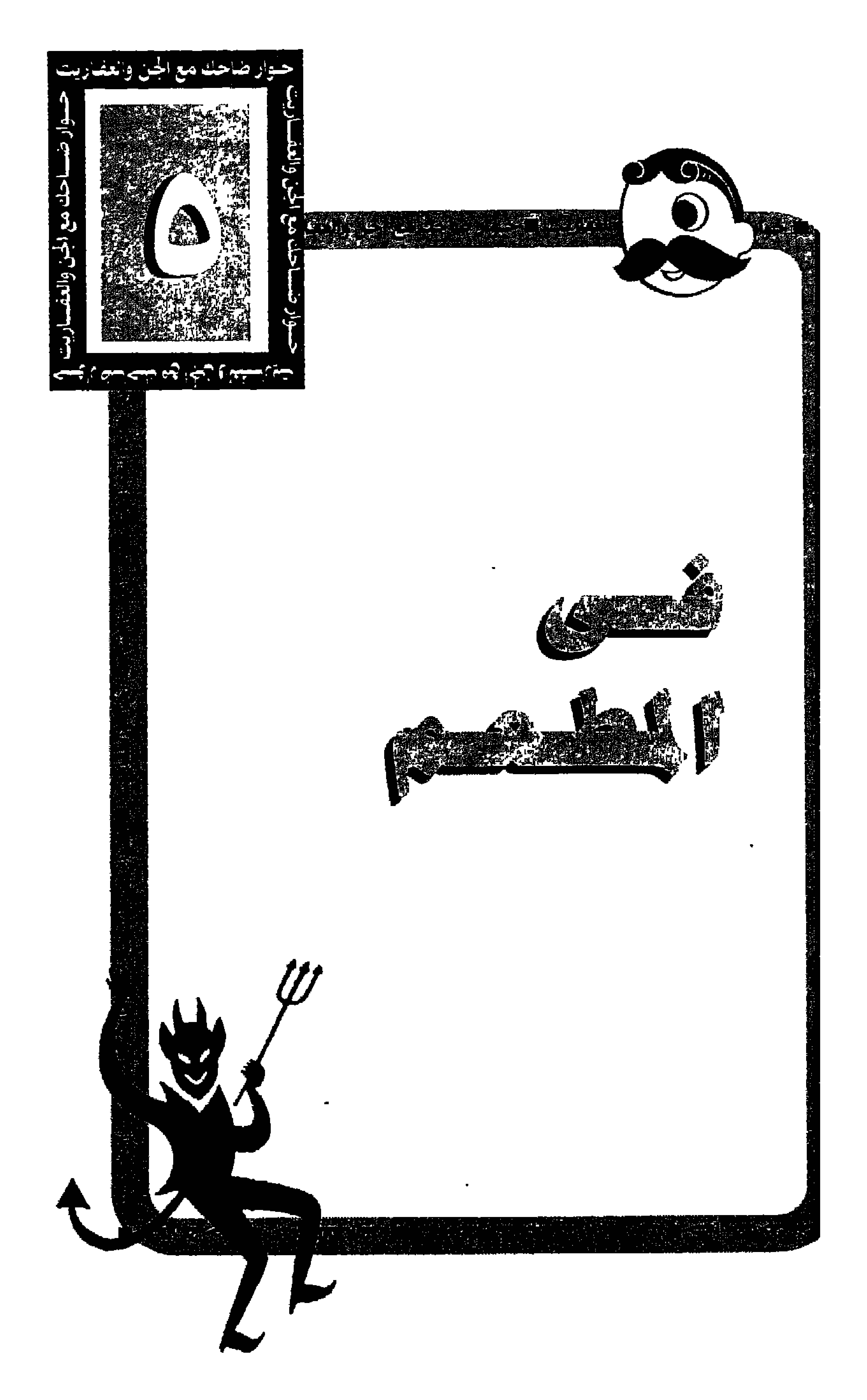
ـ لأ .. من البلاهة ، أنا أبله أيها السادة .

ثم انطلق يغنى ببلاهة فى صوت جميل ومؤثر .

ظهـرت طـائرة هليوكـوبتر صغيرة هبطت فـوق سطح منـزل رئيس الحى ، شكلها غريب ، كـانت أشبه بعلبة كبيرة من الألومنيـوم اللامع ، ذكـرتنى بـالعلب التى يستخـدمهـا الكبابجيـة فى تـوصيل الطلبـات إلى المنازل.. اتضح أن الطـائرة تابعـة فعلا لمحل كبـابجى شهير ، لقد أدرك الرجل بـذكائه الفطرى أن المرحلة القـادمة هى مرحلـة الشوارع الأنهار والحوارى البحيرات ، العصر القـادم هـو عصر المخـرات ،سيكـون من المستحيل نقل الكبـاب لـزبـائنـه من كبار المسئـولين بـالبسكليتـات أو بـالسيارات .. ظهـر لنش سريع تـابع لمحل سمك شهير ، ووسط النهـر ظهرت غواصة صغيرة تحمل الجمبرى والاستاكوزا .

الحمد لله .. الحياة تمضى والقافلة تسير ونحن ننبح .




حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
٥
في
المطعم



غير ملحـوظـة استـدعيت « المتردوتيل » جـاء بخفـة وانحنى بـابتسـامـة ، همست فى أذنـه : من السيـدة الجالسة إلى المائدة أقصى اليسار ؟

ـ هى زبونة قديمة .. هل هناك مشكلة ؟

— نعم ، أشعر بأنها تريد أن تأكلنى .

ـ تقصد أنها تريد أن تلتهمك بنظراتها ؟

— لا .. ليس بنظراتها ، بل بالشوكة والسكين .. تماما كما تفعل مع قطعة اللحم التى تأكلها الآن .

ـ هل أنت متأكد أنها تريد أن تأكلك يا سيدى ؟

— نعم ، أنا على يقين من ذلك .

ـ ما الذى يدعوها لذلك ؟ .. لدينا فى المطعم أنواع فاخرة من الأكلات.

— هناك من يتلذذون بأكل لحوم البشر .

ـ ولماذا أنت بالتحديد ؟

— لحمى وفير وكمية الشحم والدهـون المتراكمة على جسمى مغرية بالأكل .

ـ بسيطة ، تخلص من وزنك الزائد ، اتبع ريجيما قاسيا .

— لا أتحمل الجوع .. أنـا أحـب النشـويـات والـدهـون والسكريات .. لا أستطيع مقاومة إغراء الطعام الجيد .

ـ مارس الرياضة ، ستجعلك أكثر نحولة من الغزال .. ستصبح جلدا على عظم فلا يغريها فيك ما يؤكل .

— لا أطيق فكرة ممارسة الرياضة .

ـ امش .. مارس رياضة المشى فقط ولو ساعة كل يوم .

— أين هى الشوارع الصالحة للمشى ؟

ـ حسنا .. ستدافع عنك إذا فكرت السيدة فى ذلك .. أقصد إذا حاولت ذلك .

— يا عزيزى أنا متأكد أنها تفكر فى ذلك .. الكارثة أن كل الجرسونات والسفرجية منشغلون بطلبات الزبائن ، فى لحظة خاطفة ستنقض على وتلتهم قطعة من جسمى .. أجزاء كبيرة من جسمى ستستقر فى جوفها قبل أن يخف أحد لنجدتى .

ـ دافع عن نفسك .. لا تسمح لها بتنفيذ رغبتها .

— أنا أضعف منها بكثير ، انظر إلى عضلاتها المفتولة ، لقد لاحظتها وهى تدخل المطعم ، هى فى خفة الهر ورشاقة النمر .

ـ كن قويا أنت أيضا .

— هو أنا فاضى ؟! قلت لك لا وقت لدى لتقوية نفسى .

ـ عن إذنك لحظة واحدة .

تركنى « المتردوتيل » فى خطوات هادئة وذهب إلى السيدة التى تريد أن تأكلنى ، من مكانى رأيته وهو يتبادل معها حديثا قصيرا ، كانت تتكلم معه بحدة وهى تشير بيدها إشارات قاطعة وكأنها تؤكد شيئا ، من الواضح أنها تؤكد له أنها عازمة على التهامى ، استولى على الرعب ، ولكنى تمالكت نفسى وتظاهرت باللامبالاة ، عاد إلى ليقول : لقد سألتها بوضوح وبكل صراحة .. هل تريدين أن تأكلى هذا الرجل ؟

ـ وماذا كان ردها ؟

— استنكرت الفكرة بشدة وأقسمت لى بأنها لم تفكر فى ذلك ولا تشعر بأدنى رغبة فى ذلك .

— وهل صدقتها ؟ هل يعلن آكلو لحوم البشر عن نواياهم ؟ إن

مجرد إنكارها لهو دليل قاطع على رغبتها فى أن تأكلنى .

— أنت على حق يا سيدى .. لأنك زبون ، وهى أيضا على حق لأنها زبونة .. أنا احترم شعورك بالخوف منها ، وهى أيضا على حق فى أن تشعر بالرغبة فى التهامك ، ومع ذلك أنت ضيفى وحمايتك واجبة ، الناس تدخل المطاعم لتأكل لا لتؤكل ، ونحن حريصون على سمعة مطعمنا ، لن نسمح للزبائن بأن يأكل بعضها بعضا .. ماذا بوسعى أن أفعل من أجلك ؟

ـ تطردها من المطعم .

— لم تفعل ما يستوجب ذلك ، وليست لدى الصلاحية لذلك ، ولو فعلتها لأتت شرطة السياحة وأغلقت هذا المطعم بعد دقائق .. ما رأيك فى أن تبحث أنت عن مطعم آخر .

ـ ستتعقبنى وتأكلنى فى أى مطعم .

— تناول طعامك فى بيتكم .. أو هاجر .. ابحث عن بلد آخر .

ـ بدلا من أن تحمينى تحدد إقامتى فى بيتى أو تطلب منى الهجرة ؟

— ماذا أفعل ؟ أنت ترفض فكرة أن تتخلص من وزنك الزائد وتصر على أن تكون مغريا بالالتهام ، وترفض فكرة أن تكون قويا لتدافع عن نفسك وتصور المسألة كلها كما لو كانت قدرا لا فكاك منه .. ما هو الحل !

ـ حتى لو استمعت لنصحك واتبعت ريجيما قاسيا ، حتى لو مارست المشى لساعات طويلة كل يوم وتخلصت من اللحم والشحم الزائدين فى .. ستأكلنى أيضا ستكتفى بمصمصة عظامى .. بالتأكيد أنت تعرف أن أطيب اللحم ما جاور العضم .. كما لن يجدنى نفعا أن أكون قويا لأنها ستظل أقوى منى .

— سيدى ، مشكلتك ليست فى شعورك بأن هذه السيدة ستأكلك .. مأساتك الحقيقية تكمن فى أنك تريد أن تؤكل .. وبما أن الزبون دائما على حق فمن حقك يا سيدى أن تأكلك هذه السيدة.



أشـار « المتردوتيل » إلى السيـدة فنهضت من مكـانها فى رشـاقـة وجاءت لتجلس أمامى مباشرة ، شعرت بـالارتياح ، بدأت أخلع ملابسى قطعة بُعد الأخرى حتى أصبحت عاريـا تماما ، لا أحد من زبائن المطعم اهتم بما يحدث ، جـاء السفرجيـة يحملون صينيـة فرن كبيرة ، تمددت عليها .

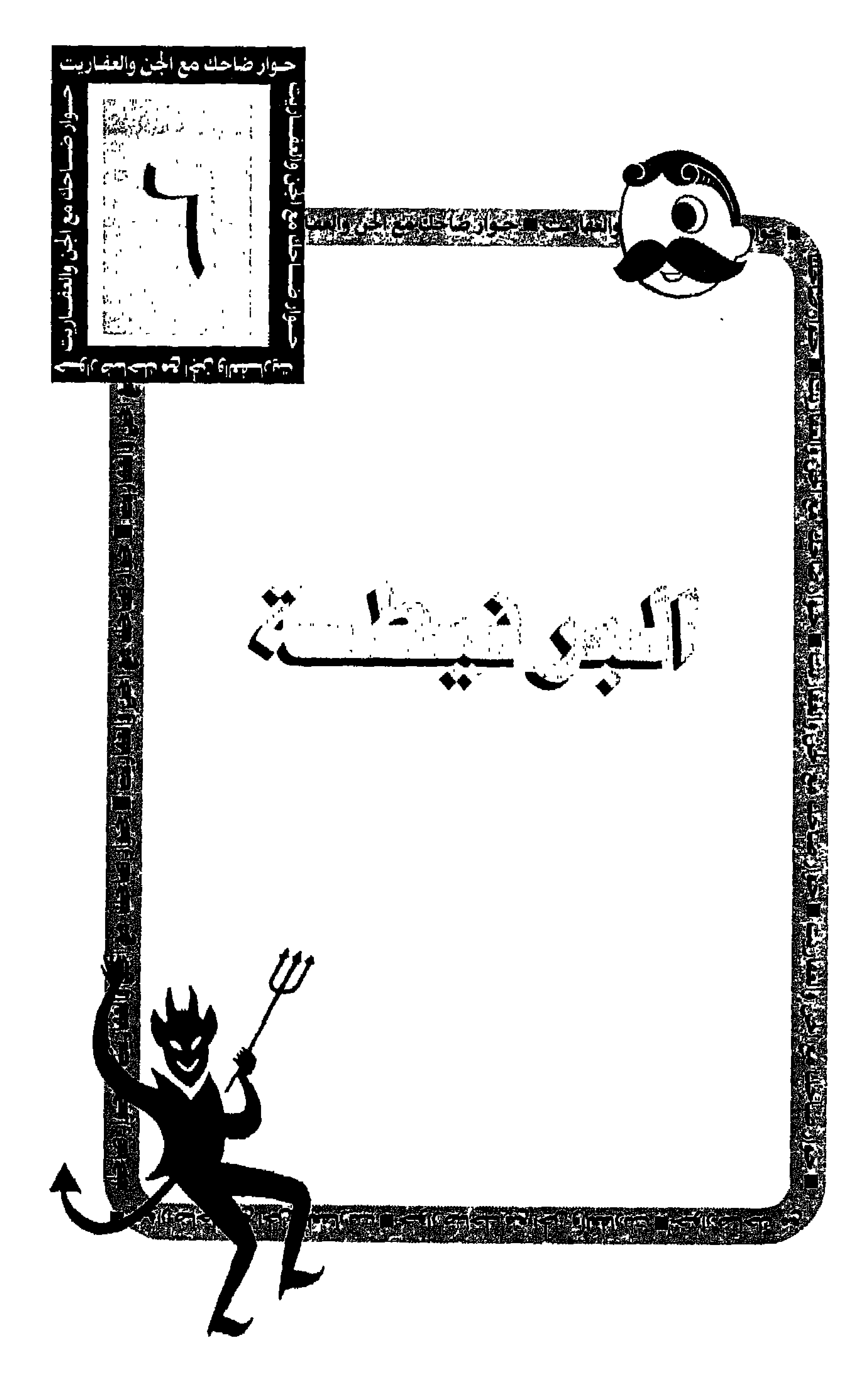
قالت لهم السيدة : أريده Well done

أدخلونى إلى المطبخ ، غسلنى رئيس الطهاة جيدا بالماء والبرمجانات ثم دعكنى بالملح ليتخلص من رائحـة العرق والزفارة ، أضـاف إلى كمية كبيرة من البطـاطس والبهـارات وأرقدنـى على كومـة كبيرة من حلقـات البصل ، دهننى بالزبد وأدخلنـى الفرن ، نضـجت على نار هادئة بأسرع مما ينضج البتلو الممتاز ، أخرجنى من الفرن وزين الصينية بالبقدونس والجرجير بعـد أن غسله جيـدا ، حملونى ووضعـونى أمام السيـدة فى المطعم ، نظـراتها فاتـرة إلى حد مـا ، من الـواضح أنها فقدت جـزءا من شـهيتهـا نظـرا للـوقت الطـويل الـذى قضتـه فى انتظـار تقـديم الطبق الـرئيسى، كان لابـد أن أحرك شـهيتهـا ، تنـاولت ـ أنـا الذى تنـاولت ـ زجاجة الكاتش أب ، وصببتها كلها على جسمى ، أضفت إليها ـ أنا الذى أضفت ـ كمية كبيرة من الفلفل الأسـود ، عصرت ـ أنـا الذى عصرت ـ على الأجـزاء المتـازة من جسمـى حبتين من الليمـون ، طلبـت من الجرسون ـ أنا الـذى طلبت ـ عددا من أطبـاق المقبلات ، كـان لابد أن أضمن أن شهيتها مفتوحة على الآخر .

بدأت السيدة تأكلنى ، قلت لها : أتمنى لك شـهيـة طيبة يا سيدتى .. هل ينقصك شىء ؟

أجابت : حاجـة حرشة .. قرن فلفل حراق ، خيارة مخللـة ، باذنجان مخلل ، طماطم مخللة بالثوم .

طلبت ذلك ـ أنا الـذى طلبت ـ من الجرسـون ، لاحظت بعدهـا أن السيـدة تأكلنـى بـاستمتـاع ، مـاذا كـان يجب على أن أفعل لكى أثبت للجميع أن هذه السيدة تريد أن تأكلنى ؟



البرنيطة

بينما الثعلب فى مكانه المفضل فى المقهى يحتسى الشاى ويدخن المعسل ، لمح الفأر وهو يمشى متسحبا بجوار جدار فى آخر الشارع فصاح به من مكانه : تعالى يا جدع أنت .

جاء الفأر فى استسلام ووقف أمامه منكسرا : تحت أمرك يا سعادة الباشا .

صاح به الثعلب فى غل وغضب : مش لابس البيرنطة ليه ؟ هه .. مش لابس برنيطة ليه ؟

تلجلج الفأر وعجز عن العثور على إجابة ، فانهال عليه الثعلب بالصفعات والركلات واللكمات وهو يصيح : مش لابس برنيطة ليه ؟ طاخ .. طيخ .. مش لابس برنيطة ليه يا كلب ؟

تمكن الحاضرون من تخليص الفأر بصعوبة فجرى مبتعدا عن المنطقة وهو يتأوه من شدة الألم . لم تكن المرة الأولى التى يضربه فيها الثعلب فقد تكررت هذه الحكاية كثيرا ولنفس السبب الغريب الوهمى وهو أنه لا يرتدى البرنيطة ، مع أنه من المستحيل أن يرتدى برنيطة ، لا مفر من أن يقدم شكوى إلى ملك الغابة ، حددوا له موعدا للقاء الأسد فذهب إلى عرينه وانحنى أمامه قائلا : مولاى .. الثعلب يضربنى بقسوة بلا سبب أو مبرر .. إنه ينتهز كل فرصة



يـرانى فيها ليسألنـى : مش لابس برنيطـة ليـه ؟ ثم ينهال على صفعا ولكما وركلا .

فأجابه الأسد بوقـار : أنا آسف لذلك .. ثق بى .. لن يحدث ذلك مرة أخرى .

انصرف الفأر من عرين الأسـد وقد انزاح عنـه همه الثقيل ، استدعى الأسد الثعلب وقال لـه : ما هذا الذى تفعله بـالفأر أيها الثعلب الوغد ؟ ! أنت تخترع سببـا سخيفـا وغير معقـول لضربـه فتظهـر نفسك أمـام الآخـرين جبارا غبيـا مفتريا فتسـىء إلى شخصنا فى الغـابة .. لابـد أن تكـون أكثـر ذكـاء من ذلك .. هنـاك أسبـاب كثيرة تتيح لك أن تضربـه بشكل مقنع له وللآخرين .

قال الثعلب : ماذا أفعل يا مولاى ؟ إننى أشعر بلذة عندما أضربه .

قـال الأسـد : تستطيع مثلا أن تطلـب منه أن يشترى تفـاحـا .. إذا جاءك بتفـاح أحمر تستطيع أن تضربه لأنك كنت تـريد تفاحـا أصفر .. وإذا أحضر لك تفاحـا أصفر تستطيع أن تعاقبه لأن المطلـوب هو التفاح الأحمر .. بهذ الطـريقة لن يلـومك أحـد على ضربـه ، ولا تهتز صـورتك أمام الآخرين .

انصرف الثعلب سعيدا بهذا الحل ، وفى المساء جلس الثعلب فى مكانه المعتاد فمر أمامه الفأر ، كـان يمشى وسط الشارع فى ثقة بعد أن تعهد الأسد بحمايته ، نـاداه الثعلب بخشونة : تعالى يـا جدع أنت . جاء الفأر ووقف أمامه فى أدب : أفندم يا سعادة الباشا .

ـ روح اشترى لى تفاح .

بكل ما يتحلى به الفأر من تهذيب تساءل فى أدب وبحروف واضحة : حضرتك يافندم عايزنى اشترى لك تفاح أصفر والا أحمر ؟

صمت الثعلب عـدة لحظـات فى حيرة ثم استـولى عليـه فجأة غضب عنيف وبـدأ يصفع الفأر فى قسـوة : أنـت مش لابس بـرنيطـة ليـه ؟ .. طاخ.. طيخ .

لعل ما لفت نظرى بقوة فى هذه النكتة هو دور الأسد ، لم يحدث من

قبل فى التراث الشعبى المصرى وفى الحكايات الشعبية وفى الطرائف والنوادر والنكت أن كان الأسد رمزا للالتواء أو مصدرا للعدوان ، هو دائما رمز للقوة والعدل والسلطة القادرة على إنصاف المظلوم من الظالم « راجل سبع » هو التعبير الذى يقوله الفلاح المصرى عن أى رجل حر يقاتل من أجل الحق والعدل ، عدد كبير من المصريين من جنوب الوادى وشماله كانوا يرسمون على أذرعهم بالوشم صورة لأسد يحمل سيفا ، وفى الحدوتة الشعبية نقول عن « أدهم » مثلا : إنه كان « سبع شرقاوى» فماذا حدث ؟

ماذا حدث فى الواقع دفع العقل البشرى لصنع هذه النكتة ، أو ترويجها أو الاستمتاع بها .

كل عناصر النكتة طبيعية تماما ماعدا دور الأسد ، من الطبيعى أن يكون الفأر ضعيفا وحاد الذكاء ، ومن الطبيعى أن يكون الثعلب خبيثا ومفتريا وغبيا أيضا ، يريد الاستمتاع بممارسة العدوان على الضعفاء ، ولكن كيف تخلى الأسد عن طباع الأسود واكتسب خبث الثعالب ؟ ولمصلحة من ؟ لمصلحة الثعلب ؟

لقد ذهب إليه الفأر كملاذ أخير يطلب الحماية والإنصاف من الجهة التى يؤمن هو وكل حيوانات الغابة أنها جهة الاختصاص ، إنه ملك الغابة العادل فكيف يتحول الملك إلى ثعلب .

بتحليل محتوى النكتة نكتشف أنه تعس ويائس ، المضمون يقول : « انضرب وانت ساكت » لا أحد سيحميك ، لقد كان من السهل والطبيعى والمحتم والشرعى والأخلاقى والقانونى أن يستدعى الأسد الثعلب ويقول له : كف عن ضرب هذا الفأر وإلا عاقبتك .. كف عن سخافاتك . ثم يزأر فى وجهه عددا من الزأرات وينتهى الأمر وينجو الفأر .. ولكن اتضح طبقا لتحليلى ــ وهو فى الغالب خاطىء ــ أن الأسد يريد بقاء الوضع على ما هو عليه ، أن يعتدى الأقوياء الخبثاء على الضعفاء الأذكياء ، ولا يكتفى بالسماح بذلك بل يعطيهم نصائح ذكية لمواصلة الاعتداء !!



السؤال هـو : لماذا تخيل العقل الجمعى صانع النكتـة أنه لا أمل مع الأسد نفسه ، وأنه أصلا سعيد بما يفعله الثعلب بالفأر .

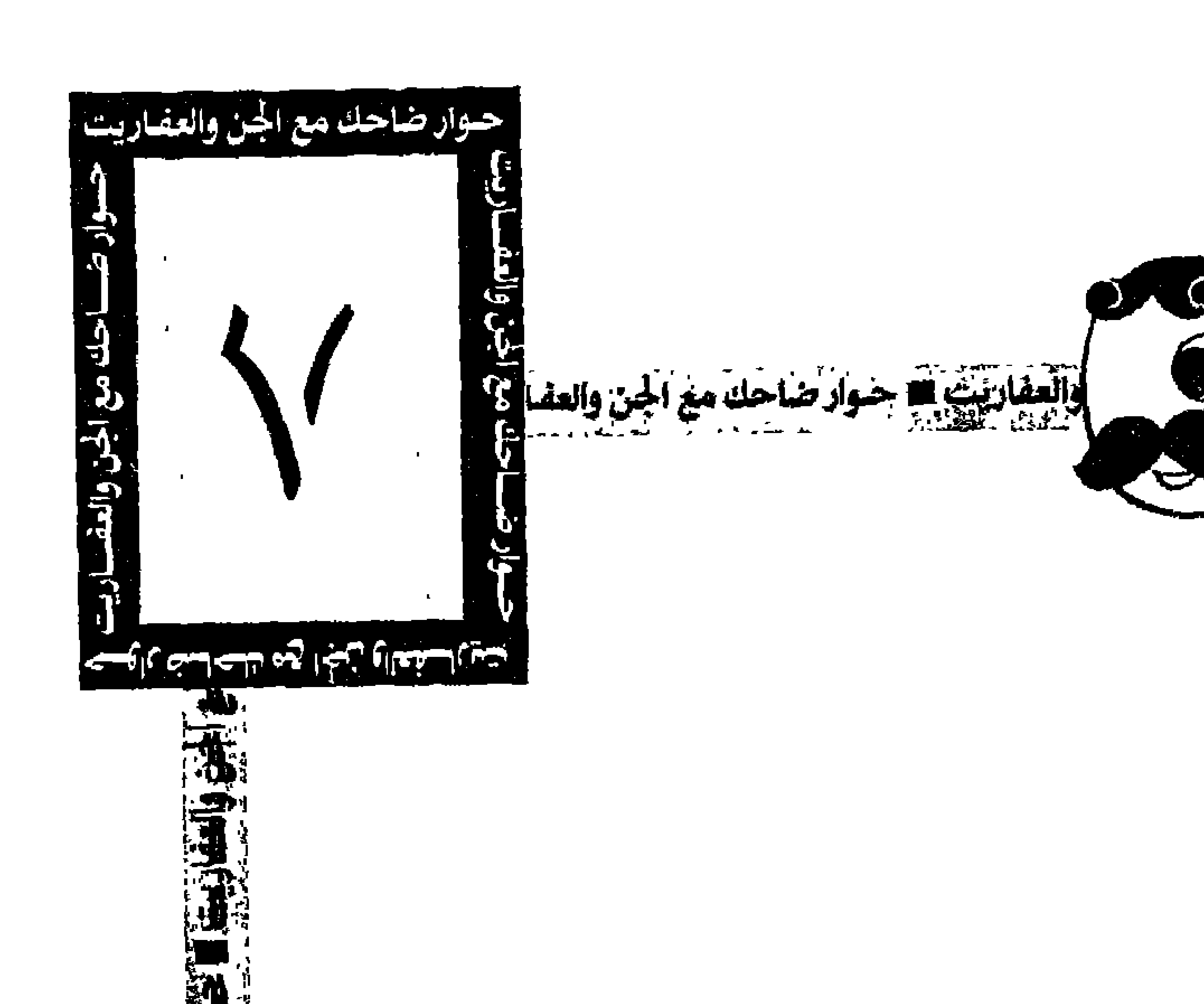
قد تقول : من ناحية البناء الدرامى ، كان من المحتم أن يكون الأسد متـواطئـا مع الثعلب لكى يـدلـه على الطـريقـة الصحيحـة التى يضرب بموجبهـا الفأر ، لكى تكشف النكتة عن غبـاء الثعلب وعجزه عن التفكير السريع والإبداع الذهنى .

هذا بعد واحـد من أبعاد النكتة ، تتهم فيه الثعلب الذى عـرف بالمكر أنه ليس مكـارا ولا يحزنون ، هو مجرد حيـوان يمارس العدوان .. وإذا وقع فى مطب يتطلب سرعـة البـديهة انكشف فى الحال ، ولكن ألم يكن أقـرب إلى الدرامـا والمنطق أن يتطوع بهذه النصحيـة واحد من زمـلائه الثعالـب الجالسين معه على المقهى ؟ ولكن لـو حدث ذلك لفقـدت النكتة مضمونها ورسالتها التى تعمد العقل الجمعى إرسالها .

إن الفعل الأساسى فى هذه الدراما المبدعة المكثفة هى تخلى الأسد عن دوره التقليدى الـذى يترتب عليه عـدوان الثعلب على الفأر إلى الأبد .. إن الأمر الجدير بالتفكير هو تلك الصلة المريبة بين الأسد والثعلب .

لقـد أوجعت قلبى هذه النكتـة وأكـاد أسمع الفأر .. يهمس فى أذنى : لقـد توجهت بشكـواى إلى الأسد وحـدث ما حـدث .. ماذا أفعل لحمايـة نفسى من الثعلب ؟

فكرت فى أن أنصحه أن يـرتدى برنيطة ، ولكن بـالتأكيد سيخترع له الثعلب سببا آخر ، وقد يرسل له من يسرقهـا منه ليضربه لأنه لا يرتدى بـرنيطـة .. لا مفـر من أن أقـول لـه فى يأس : أصـبر .. إن الله مـع الصابرين .


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
٧


الجورنال



تحرير ورئيس لحزب جديد كتب فى افتتاحية العدد يقول : « بعد عناء ليلة مضنية عقب دفع العدد الأول للمطبعة ، أغمضنا أعيننا ، ولكن أبدا لم تغمض أعين القراء الذين ظلوا ساهرين أمام الباعة .. فى انتظار الأمل الغائب فى الأسواق . وعندما تأخر وصول العدد إلى المحافظات تحولت اللهفة إلى أنشودة حزن ، وتناثرت الشائعات ما بين مصادرة العدد ، أو جمعه من الأسواق بمعرفة أحد الفاسدين ، وقراء آخرين ابتاعوا (...) بأضعاف سعرها فى السوق السوداء » .

أنا أعرف أنه من الصعب أو من المستحيل تصديق أن الناس فى محافظات مصر ظلت ساهرة حتى الفجر أمام الباعة فى انتظار الأمل الغائب اللى هو الجورنال الجديد ، كما أنه من خامس المستحيلات تصديق أن لهفة البشر فى المحافظات تحولت إلى أنشودة حزن . ومع ذلك فأنا أؤكد للقارىء أن ذلك قد حدث فعلا وأنا شاهد عليه فقد حضرت بالمصادفة بعضا من وقائعه ، لقد شاهدت قرى بأكملها تجلس فى الأجران حتى الصباح تنتظر فى لهفة وصول الجورنال الجديد ، كما استمعت إلى لهفتهم وهى تتحول بالتدريج إلى أنشودة حزن يعجز عن تأليفها هوميروس ويعجز عن تلحينها بيتهوفن .

تحولت لهفة البشر إلى أنشودة حزن لمجرد تأخر وصول الجورنال إلى المحافظات ، إنها نفس المحافظات التى عانت



طويلا من تأخر وصول الزيت والسكر والفول والعدس والعلاج والتعليم والصرف الصحى وفرص العمل ، كل هذه المتأخرات فشلت من قبل فى تحويل اللهفة داخل صدور البشر إلى أنشودة حزن ، وأفلح تأخر وصول الجورنال فى ذلك ، ولكن لابد من ملاحظة أن الله كان لطيفا بعباده ، تأخر وصول الجورنال فقط ، وكانت الخسارة الوحيدة هى تحول اللهفة إلى أنشودة حزن .

لنفرض أن الجورنال لم يصل لسبب من الأسباب ، تعطل القطار مثلا ، أو أن المتعهد أخفى الأعداد لحساب حزب منافس .. ماذا كان سيحدث ؟ ! ألم يكن من المحتمل أن تتحول اللهفة إلى أنشودة حزن ، ثم تتحول الأخيرة إلى عاصفة هوجاء مروعة لا تبقى ولا تذر ؟

الغريب أن أنشودة الحزن التى ترنم بها القراء فى محافظات مصر لم تلفت نظر مندوبى ومراسلى صحافتنا المحترمة ، حكومة ومعارضة .. المراسلون الأجانب فقط هم الذين تنبهوا لها ، فقد حدث أن عددا منهم كان راكبا القطار ، فى طريقهم لتغطية بعض الأحداث فى محافظات الصعيد ، وأثناء مرور القطار على القرى والنجوع والمراكز كانت تتناهى إلى أسماعهم أنغام جماعية حزينة ، كان اللحن واحدا بطول الوادى ، كان حزينا إلى درجة تدفع القلوب للانقباض ، واحد منهم قال : إنه احتفال شعبى قديم وصفه هيرودوت ، المصريون فى هذا الوقت من السنة يحتفلون بغياب أوزوريس .. ويعلنون حزنهم على غيابه بالأغانى الجماعية الحزينة .

فرد عليه مراسل آخر وكان يجيد العربية : لا يا سيدى .. هذه ليست أغانى ، إنها أنشودة حزن معاصرة لا صلة لها بالطقوس الفرعونية القديمة .

- لابد أن عظيما مات .

— لا .. لقد تأخر وصول الجورنال الجديد .. وكانوا ممتلئين باللهفة التى مالبثت أن تحولت بفعل البرد وأشياء أخرى إلى أنشودة حزن ..

ـ ماذا تقول كلمات الأنشودة ؟

ـــ تقول : يـا ليل كفاية حـرام ، لا نوم ولا أحلام ، ولا حـاجة ، ولا حد عاوز يفهم اللى بيحصل ، ولا حد شـايف خطر فى اللى بيحصل .. يا ناس ، ارحمونـا ، هاتوا لنـا الجورنال بقى .. نشفنـا من البرد والسهر ، متنا من الانتظار ، هاتوا لنا الجورنال الجديد بقى فى عرضكم .. يا ناس حرام عليكم ..

ـ يا لها من أنشودة حزينـة .. ولكن هل يوجد فى مصر هذا العدد من القراء الحزانى ؟ كيف ذلك ونحن نعرف أن نسبة الأمية مرتفعة جدا ؟

ـــ هم ليسوا من القـراء ، لأنهم لا يعرفون القراءة ولا الكتـابة ، لا هم ولا حتى هـؤلاء الذيـن يكتبون لهم ، ولكنهم من الملهـوفين المتلهفين المنتظـرين ، هم فى حالـة انتظـار دائم وأبدى لمعجـزة ، وكل جديد وأى جديد فى حياتهم يحمل لهم أملا .. فلما سمعـوا أن هناك جورنالا جديدا تابعا لحزب جديد فى الطـريق إليهم شعروا على الفور باللهفة لشراء ذلك الجورنال والاحتفـاظ به تحت مرتبـة السرير أو تحت السريـر نفسه فى حالـة عدم وجود مرتبـة أو تحت الأرض فى حالة عدم وجـود سرير ، إلى أن يتعلموا القـراءة والكتابـة بعد عـدة أعوام ، وحتى إذا فشلـوا فى تعلم القراءة والكتابة ، فمن الممكن أن يتركوه لأحفادهم .

ـ كنـت اعتقد أن المصريين يـورثون أحفادهـم المصوغـات والفلوس والبيوت والأرض .

ـــ لم يعد لديهم شىء من هـذا القبيل .. لذلك يتركون الآن لأولادهم الأحزاب والجرائد .. أنا شخصيا سأترك لأولادى حـزبا جديدا ، صحيح أنـا لم أحصل على تصريح بـه حتـى الآن ، ولكنى فى المراحل النهـائيـة للحصـول على الموافقـة ، لقد طلبـوا منى إثبـات أن حـزبى لا يحمل أى أفكـار ليبراليـة من أى نـوع . فأثبت لهم ذلك ، ومع ذلـك طلبـوا منى شهادة جـديدة بأن حزبـى وجوده زى عدمـه .. وسأقدم لهم هذه الشهادة بإذن الله.

ـ أتمنى لك التـوفيق .. ولكن ألا توجد طـريقة يتخلص بها



البشر من أنشـودة الحـزن هـذه ؟

— سيحدث ذلك عنـدما يصل الجورنال ، ستتحـول أنشودة الحزن فى لحظات إلى سيمفونيـة الفرحة ، فرحـة لقاء القارئ بالجورنـال الذى يتلهف على قراءته .

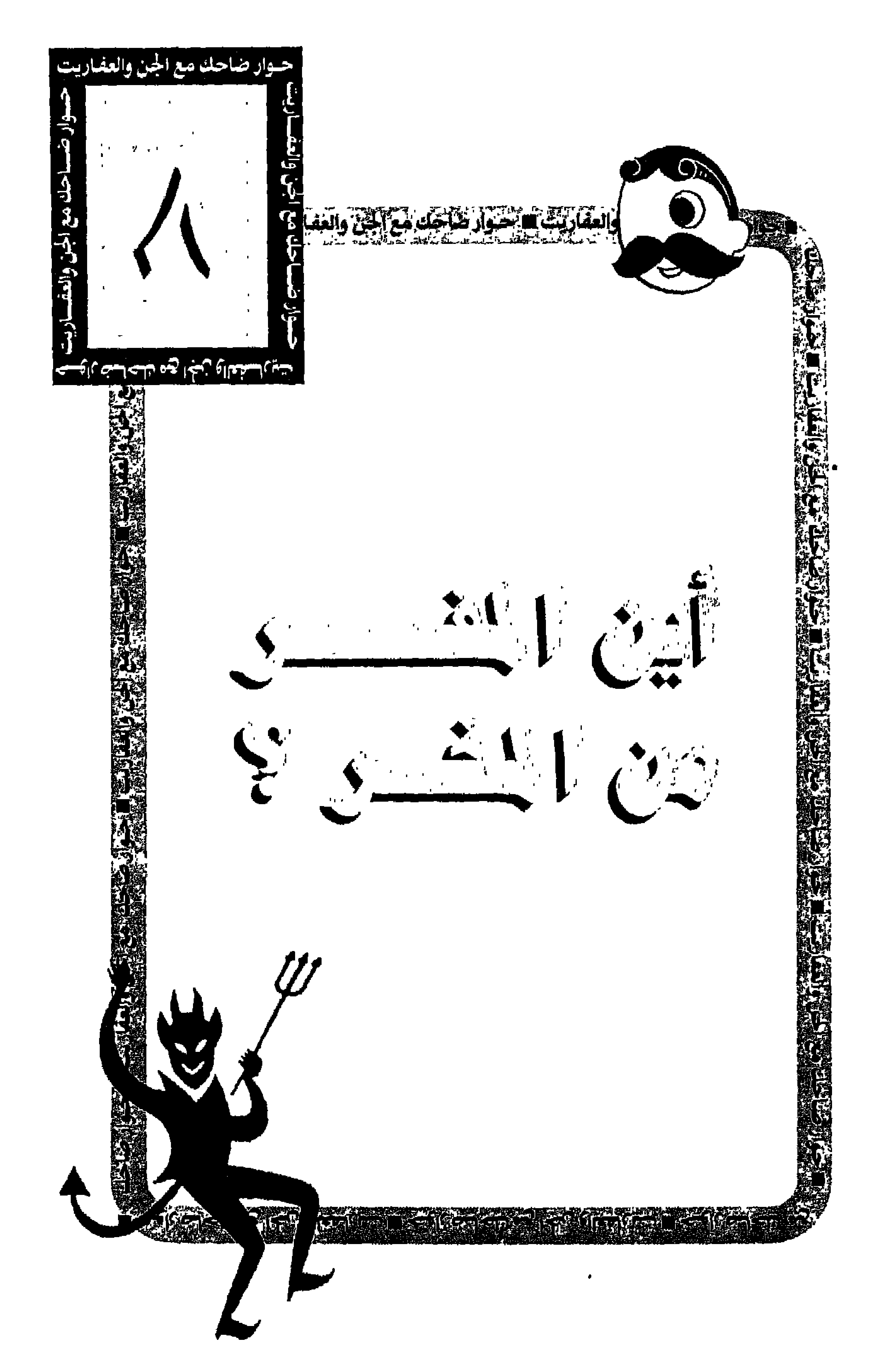
فى تلك اللحظـة سمع المراسلون عـدة دفعـات من مـدافع رشاشـة ، فعـرفوا على الفـور أن الجورنال قـد وصل إلى هـذا المكان ، وأن النـاس خـرجت من أنشـودة الحزن إلى سيمفـونية الفـرحـة ، وأنهم يحتفلـون بإطـلاق النار فى الهواء ، تأكـد ذلك عنـدما استمعـوا لأصـوات زغاريـد الفلاحات تشق عنان السماء .

فى نفس تلك الليلة ، وفى قـرية نـائية صرخت سيدة فى زوجهـا الذى عاد إليها عند الفجر : كنت فين لحد دلوقتى ؟ .. ما عندناش عشا .. وما كانـش عندنـا غدا .. والفطار كـان عيش حـاف .. والعيال مـا عندهمش هـدوم يروحـوا بيهـا المدرسة .. ومـاعنـدهمش جـزم .. وما عنـدهمش كراريس .. ولازم ياخدوا دروس خصوصية .. حانعمل إيه ؟

نظـر لها زوجها مبتسما وقـال لها بـرقـة : مش حانعمـل حاجـة .. حانقرا الجورنال ده .

لم تصدق السيدة عينيها ، لقد استطاع زوجها أن يحصل على نسـخة من جريدته الجديدة ، اشتراهـا بأضعاف أضعاف ثمنها ، لم يقل لها إنه باع كوفيته الصوف الجديدة ليتمكن من شرائها .

فى تلك الليلـــة ، بمعنى أصح فى تلك اللحظـــات التى تسبق شروق الشمس ، عاش هذا الرجل وزوجته لحظات سعادة لم يعرفاها من قبل ، ولا حتى ليلة الـزفاف ، ففى ذلك الوقت البعيد ، لم يكن التـدهور العقلى قد اخترع بعد .



٨

أين المفر من المفر ؟

اللغة مخلـــوق حى لـــه نفس مـــلامح البشر الـــذين يستخـدمـونها، وهى مشروع كبير يتسع بـالمفـردات الجديـدة فى كل لحظة من لحظـات الـزمن ، ويتخلص أيضـا من المفردات التى تعـوق حركـة البشر أو تمنع رقيهم . عندمـا نرقى تـرقى معنا الكلمات ، وعنـدما ننحدر تنحدر معنا الكلمات.

والتراث الشعبى ممتلىء بـالأمثلـة والتعبيرات التـى تحتم العنـايـة بالألفاظ وتربط بينها وبين التقدم للأمام والحفاظ على الذات . يقولون : لسانك حصانك ، إن صنته صانك ، وإن ما صونتوش رفسك .

أى أن كلماتك هـى وسيلة مواصلاتك ، لابد من إجراء عمليات صيانة لها ، للحفـاظ عليهـا لتصل بك إلى مقصـدك النهـائى ، إذا لم تفعل ، ستعمل كلماتك نفسها ضدك ، سترفسك .

ويقولون : الملافظ سعد .

لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفايا .

اختيـارك لألفـاظك هـو مصـدر لسعـادتك ، ومن السهل أن تعـرف التعساء من خشونة الألفاظ التى يستخدمونها .

ألفاظك أيضا مسئولة عن العقاب الذى سيحل عليك عندما تستخدمهـا بشكل خاطىء يستفـز الآخرين ويـوقظ عدوانهم



عليك . لذلك تحذرنا أقوال الحكماء من الحديث عند الغضب ، فالغضب عادة يمنعنا من استخدام الألفاظ المناسبة للموقف ولمن نوجه لهم الخطاب . أعرف وزيرا فى منتهى الكفاءة والصرامة فى عمله ، نقطة ضعفه الوحيدة كانت لسانه ، عندما يفتح فمه لا يمكن أن تتنبأ بحجم الخسائر التى سيحدثها ، لذلك تمكن خصومه من اصطياده بسهولة وسحبوه من لسانه إلى خارج الوزارة .

منذ سنوات طويلة نستخدم كلمة « مراحيض » ولا مؤاخذة ، والآن نستخدم كلمة « تواليت » بينما كنا نستخدم الأخيرة لنصف بها ما نسميه الآن الماكياج ، كان من الشائع أن نسمع تساؤلات فى حفل الزفاف : هى ا لعروسة فين ؟

فتكون الإجابة فى الأوساط الشعبية : لسة بتتزوق .

أما فى الطبقة المتوسطة فتسمع الإجابة : بتعمل تواليت .

أما فى الطبقات الراقية فيقولون : بتحط الميك اب .

والآن لم تعد لدينا إدارة للمجارى بل للصرف الصحى . ولقد تعددت الأسماء والمكان واحد .

والتسمية الوحيدة التى أخذها عنا الغرب الأمريكى هى « بيت الراحة » Rest Room .

والتسمية بالفعل مطابقة للمكان الذى تشعر فيه بالراحة ، نفس المكان كان يسمى عند الطبقات الفقيرة « الكنيف » ليس لدى وقت لأفتح القاموس لأعرف معناها ،ولكن يخيل لى أن لها صلة بكلمتى « كنف » و«يكتنف» بمعنى الإحاطة والرعاية ، فنقول فلانا عاش فى « كنف » فلان ، أو إن هذا الموضوع يكتنفه الغموض .

هناك أيضا تسمية شهيرة لم تنقرض بعد ولكنها فى طريقها للاندثار وهى « كابينيه » كل هذه الألفاظ كانت موجودة ومتداولة ولا عار فيها ولا عيب ، ومع ذلك هل تتصور الآن أن تدخل فندقا خمس نجوم فتجد سهما ثم كلمة مراحيض أو كابينيه أو كنيف أو حتى دورة مياه ؟

بالطبع لأ .. فقد تخطى البشر مرحلة استخدامها .

أيضـا فى مسألة السيـول ، طول عمـرنا نعـرف ما يسمى بمجـرى السيـول والتسمية صحيحـة ومطابقـة ومـلائمة لأنها تعنى المكـان أو المجرى الذى تجرى فيه السيول ، فما هى إذن حكاية كلمة مخرات التى ظهرت فى حياتنا فجأة لتخر علينا من الصحف والإذاعة والتليفزيون ؟

ستقول : يـا سلام يـا سى على ، سايب كـل المصايب اللى حـوالينا ومـاسك فى كلمـة مخرات ؟ نعم ، إن الـردة فى استخدام مفـردات اللغـة تعنى بالنسبـة لى تحولا خطيرا فى العقل ، لقد كـان من الممكن أن يقولها واحد مـن الناس أمام مجمـوعة مـن الصحفيين فلا يكتبها أحـد ويكتب بـدلا منهـا مجرى ومجارى . وإذا كتبهـا كـان مـن الممكن أن يغيرهـا المراجع أو المصحح أو مسئـول الصفحة أو رئيـس التحريـر . ولكن أن تتسلل الكلمـة لإعلامنـا وتنتشر بهذا الشكل .. فهذا معنـاه ببساطـة أن عقولنا مهيأةللعـودة لاستخدام كل الألفاظ التى تخلصنا منهـا لمجافاتها للذوق الراقى .

الغـريب فى الأمر أن الكلمـة ليست مطـابقة للـواقع ، تعـال ندرسـهـا جيدا، نحن نقـول : « الصفيحة خرت » أوالشىء الفـلانى « بيخر » إذن الخرران يحدث بنسبـة بسيطـة مـن الأصل ، ومن المستحيل أن يحدث على هيئـة سيول ، نحن نقـول : إن السماء تمطر ولا نقـول : تخر ، هل الأنهار والمصارف والترع تخر ؟

بل إننـا مع ازدياد رقى اللغـة لم تعد نسـخـدم كلمة « يخر » أصـلا فنقـول مثلا : الشىء الفـلانى بيسرب ، العقل البشرى بينما يصعـد على سلم الرقى عمل على التخلص من هـذه الكلمات بالذات لقرابتهـا وقربها من كلمة أخرى غير مستحبة ، نأتى بسؤال : هل الإنسان يخر ؟

الـواقع إن الخرران مقصور على السـوائل فقط . ولكن من الناحيـة الأدبية الإنسان يخر صريعا فقط .

نحن نقـول : أطلق زيد على عمـرو النـار فخر صريعـا بما يعنى أنـه سقط متسربا من الحيـاة نفسـها ، أو نقـول عندمـا نظـرت له بعينيهـا خـر صريع هـواها ، والخرران هنـا بمعنى

السقوط ، عملية الخرران إذن بشكل عام مفاجئة وعفوية وغير إرادية ، يعنى لا توجد علبة تريد أن تخر ، ولا تنك بنزين يريد أو يتعمد أن يخر، بينما هى عند الإنسان تحت السيطرة تماما فيما عدا حالات الإسهال والعياذ بالله .

أخشى أن يكون استخدام هذا اللفظ بهذا الاتساع تمهيدا لدخوله فى لغة الحوار اليومى ، الأمر الذى لا يستبعد معه أن تكون جالسا فى مطعم فخم وتسمع سيدة ارستقراطية تسأل الجرسون : المخر فين وحياتك ؟

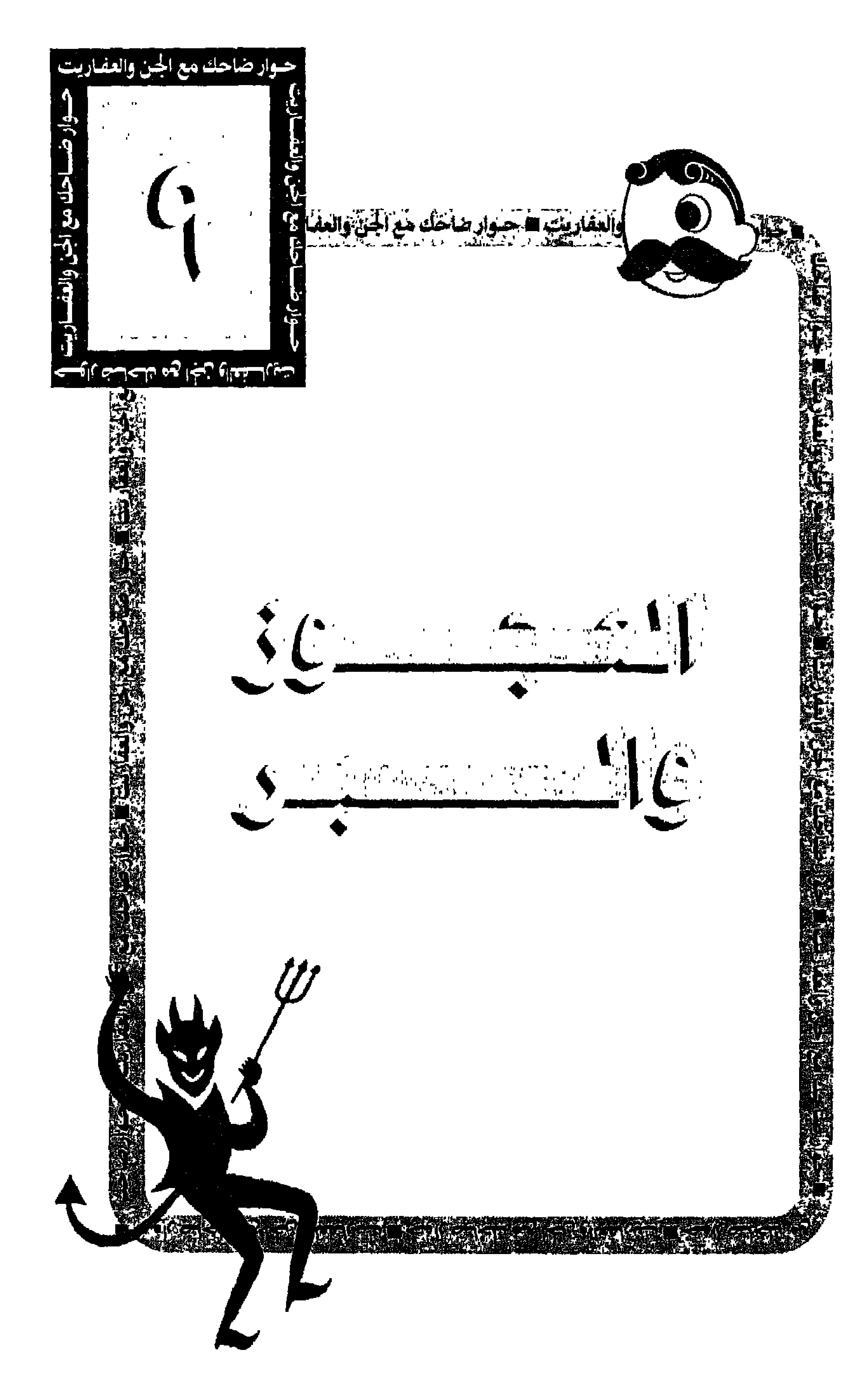
كما يهمنى أن أنبه فى هذا المقام إلى أن هناك حروفا فى اللغة العربية لم تستقر بعد من ناحية النطق بشكل نهائى مثل حرف « القاف » على سبيل المثال فهى تنطق (غ) عند بعض الناس فيقولون « الاستغلال » بدلا من الاستقلال وقد تسبب هذا النطق للأسف فى استغلالهم أبشع استغلال بعد حصولهم على استقلال .

مع هذه الردة ، يخشى أن يتحول حرف القاف إلى أن ينطق (خ) على سبيل الأناقة أو التغيير أو بدافع من السأم والملل . فنقول : إن وسائل الإعلام الأجنبية تشيد بنا لأننا حققنا قدرا ملحوظا من الاستخرار .. أو نقول : لقد ناقشت الحكومة الفلانية هذه المشكلة واستخر الأمر على كذا وكذا ..

أو تسمع شابا يقول فى برنامج على الناصية : نفسى أتجوز واستخر فى بيت لوحدى بعيدا عن أهلى .

أنا أطلب من كل زملائى فى أجهزة الاعلام والصحافة العودة للكلمة الأصلية ، مجرى ومجارى .. أو جربوا كلمة جديدة : مسار .. ومسارات .

افرضوها على الناس فيقتنعوا بها على الفور .. جربوا .. أما إذا رأيتم أنه من الأفضل استخرار الأمر على ما هوعليه .. فأنتم أخرار فى ذلك .



العجوز والصبر

أيقظنا موظف الفندق فى الغردقة بالتليفون عند الفجر ، تناولنا طعام الإفطار فى دقائق وخرجنا إلى الشاطىء . استقل كل منا قاربه المزود بموتور صغير وخرجنا إلى عرض البحر . اتخذ كل منا مكانا له بعيدا عن الآخرين بعدة كيلومترات ، عندما أشرقت الشمس كنا بعيدين عن الغردقة بحوالى عشرة كيلومترات تقريبا .

ألقيت بالسنارة بعد أن زودتها بالطعم ثم أخذت أحدق بهدوء فى مياه البحر الساكنة لدى إحساس بأننى سأكون الأول فى مسابقة الصيد هذه ، فى الغالب خامر هذا الإحساس كل المشتركين . أخذت أسلى نفسى بتصور مانشتات الجرائد .. على سالم يصطاد أكبر سمكة فى تاريخ صيد السمك ، بل خيل إلى أننى أسمع بوضوح أسئلة المذيعين والمذيعات : هل كنت تتصور أنك ستصطاد سمكة بهذا الحجم ؟ .. والآن هل ستعود للكتابة للمسرح ؟ وما رأيك فى الخروج عن السمك ؟ أقصد عن النص ؟ هل أنت محظوظ ؟ أم أن خبرتك كدمياطى هى السبب فى حصولك على الجائزة الأولى ؟ .. هل يستطيع القطاع العام اصطياد مثل هذه السمكة ؟

وأنا ابتسم فى تواضع . صدقونى هذه أول مرة فى حياتى اصطاد فيها سمكا .



هدوء .. صمت .. العـالم كله ساكن .. العالم كلـه فى أجازة .. القارب يتمايل فى نعومـة تكاد تسلمنى للنـوم .. ثم غمزة .. آه ، غمـزت .. هناك سمكـة تأكل الطعم الآن .. اجذب الحبل .. اجـذب .. شد .. خـرج الحبل وخرجت السنـارة خاليـة من الطعم ، لابد أنها سمكـة محترفة ، مـدربة على أكل الطعم دون أن تلمس السنـــارة .. لاشك أنها تسخـــر منى مع زميلاتها الآن .. الأسماك أيضا تعـرف الصياد الغشيم .. لا بأس ، طعم آخر فى السنارة .. يا رب سق لى سمكة غشيمة .

مـرت ساعـة . ثم غمـزة قويـة .. امسك .. على مهلك .. على مهلك.. اسحب .. أيـوه.. أسحب .. ولكن السمكـة تقاوم بشـدة .. هل ستتكـرر مأســاة سـانتيا جـو بطل العجـوز والبحـر ؟ يعنى هل سأصطـاد أكبر سمكة فى البحر الأحمر ثم تأكلها منى أسماك القرش ؟ هل توجد فى هذه المنطقة أسماك قـرش ؟ .. طبعا .. هل تعتقد أن أسماك القرش مـوجودة فى الأفلام فقـط ؟ يا نهار أسود ، لنفـرض أن سمكة قـرش أكلت الطعم وشبكت السنارة فى فكهـا ، بالتأكيد ستسحبنى بعيدا فى عـرض البحر ، لست بطـلا مثل سانتيـا جو ، لـن أحاول الـدخول معهـا فى معركـة .. سأتـرك لها السنـارة وأعود إلى الشـاطىء معلنـا أن تـرتيبى الأخير فى المسابقة .

هل تتصـور أن سمك القـــرش يقترب من هـذا الطعم الفقير ؟ .. هل تتصور أن أسدا تبلغ به الدناءة أن يهجم على ساندوتش هامبورجر ؟

السنـارة تغمز .. على مهلك .. امســك ، هى سمكة كبيرة قطعـا لأنها تجذب حبل السنـــارة بقـوة ..ارخ الحبـل .. ارخ الحبل .. إلى أن تتمكن منها السنارة وتنغرس فى فكها .. اترك لها الحبل على الغارب .. ما معنى كلمـة الغـارب ؟ .. يـا أخى .. يـا أخى .. ليس هـذا وقتـه .. لقـد انتهى الحبل.. امسك .. امسك جـامد .. نعم ، بكـل قوة ، الحمـد لله ، أنا الـذى أجـ ـا وليست هى ، والآن لف البكرة واجذب الحبل على مهلك .. نعم.. على مه ، العمليـة تتم بسهـولـة ، هـاهى السمكـة تظهـر أخيرا .. هى «الهارموكين » الكبير نـادر الوجـود .. هل تعـرفه ؟ .. لأ ،، ولا أنـا ، أنا

قـادر على اصطيـاده فقط .. المهم أنها كبيرة جـدا ، تـزن حـوالى مـائة كيلوجـرام .. تغلبت عليها لأن وزنى مـائة وعشرون كيلوجرامـا ، ارفعها فـورا إلى القـارب .. فورا فقـد تظهـر أسماك القـرش وتأكلهـا منك ، لا أستطيع رفعها فقد ينقلب القارب أو انقلب أنا فى الماء .. حسنا ، اسحبها .. ابتعد عن المنطقة بأسرع ما يمكـن قبل أن تتنبه لغيابها بقية الأسماك .. أدرت مـوتور القـارب بأقصى سرعـة فى اتجاه الشاطىء .. بسرعـة .. أسرع من ذلك .. لابد أن تصل بها سليمة .. وطازة .

كـانت لجنـة التحكيم تقـف على الشـاطىء بين الجماهير التى تهلل وتصيح فى إعجاب وفرحة ، عشرون شخصا على الأقل اشتركوا فى جذب السمكـة وسحبها إلى الشـاطىء وزنت السمكـة ، اتضح أن وزنها ١٣٠ كيلوجـراما ومائتى جـرام ، قالـوا إنه لم يحدث فى تاريخ المسـابقة وأى مسابقـة أخرى عـالمية أن اصطـاد شخص بمفرده سمكـة بهذا الحجم وهذا الوزن ..

وفجأة ظهر سرب من أسماك صغيرة تشبـه البساريـا ، كان السرب يعوم على سطح الماء بالقرب من الشاطىء . السرب يقترب من الشـاطىء، لدرجـة أن بعض الموجودين نزلـوا إلى الماء للإمساك بـالسمك بأيديهم ، وفجأة قفزت الأسماك إلى الهواء ، طارت فى الهواء ثـم نزلت على السمكة الكبيرة وأخذت تعمل فيهـا أسنانها ، صـاح الناس فى فـزع وهم يفرون مبتعـدين ، استغـرق الأمـر دقيقـة واحـدة على الأكثـر بعـدهـا تحولت السمكـة إلى هيكل عظمى غارق فى الـدماء ، وفجأة وكأن أمـرا خفيا قـد صـدر لها بذلك ، طـارت جميعها فى الهواء عـائدة إلى الماء مرة أخـرى ، تجمعت فى سرب وسارت بهدوء وبطء مبتعدة عن الشاطىء .

أحد الموجودين تمكن من الإمساك بـواحدة منها ، أنشبت أسنانها فى كفـه فقذفهـا بقوة على الأرض وهـو يصرخ من الألم ، الصـدمة عنيفـة أسكتت حركتهـا ولكنها لم تمت بعـد ، واحد من أعضـاء لجنة التحكيم أمسك بها بحذر ، وأخذ يفحصهـا ، هى سمكة نحيلة لا تتعدى الثمانية سنتيمترات طولا . ولكن أسنانها قوية جدا ،



هى تشبه سمك «الشيـلان » الذى كان موجودا فى النيل قبـل بناء السد العالى ثم انقرض : ما اسم هذا النوع الصغير القاتل ؟

همس فى أذنى : هذه أسماك قرش .

ـ لابـد أنك تمزح يا سيدى .. لم يشـاهد أحـد من قبل أسماك قرش بهذا الحجم .

ــ حسنا .. هاأنت تشاهدها .

عاد الرجل مسرعا ليجرى اتصالا تليفـونيا مع القاهرة .. وعلى مائدة العشـاء حـرص على أن يجلس بعيدا عنى .. وفى الكـافيتريـا اقترب منى هـامسـا : أرجـوك .. لا تخبر أحدا بـأنها أسماك قرش فقـد يصـابـون بالفزع.

ــ لن أخبر أحدابـذلك لأننى لا أصـدقه .. وأنـا متأكد أنها نـوع من البساريا .

فى تلك اللحظة سمعنـا صوت زجاج يتحطـم محدثا دويا مفـزعا ، ثم عدة تحركـات من سائحات وسـائحين .. كانت الأسماك الصغيرة تهاجم الكافيتريا . دخلت عبر النوافذ المطلة على البحر بعد أن حطمت الزجاج .. خرجنـا فزعين وقد أصيب بعضنـا إصابات مختلفـة .. من الواضح أنها لم تكن تريد قتلنا .. كانت تريد إفزاعنا فقط .. هاجمت المطبخ وأكلت ما فيه .. وفى قفـزة واحدة خرجت من الفنـدق .. بعد عدة قفزات كـانت قد عادت إلى البحر .

قال المصور التليفـزيونى المرافق للمجموعة : حتى لـو كنت قد قمت بتصوير هذا المشهد ما صدقنى أحد .

ـ ولكن ماذا يريد سمك البساريا ؟ .. ماذا يقصد بهذا الهجوم ؟

رددت عليـه بصوت سمعـه الجميع : ليست بساريـا .. هى أسماك قرش صغيرة الحجم .

ـ ماذا تريد ؟

ــ ماذا تريد ؟ .. هل للأسماك عقل تريد به شيئا ؟

ـ نعم .. كل المخلوقات لها عقول .. وكلها تريد شيئا .

ـــ بالتأكيد تريد إلغاء المسابقة .

ـ ليست هذه المسابقة فقط .. فى الغالب كل المسابقات .

بعد دقائق بدأت الأخبار ترد إلينا ، هاجمت الأسماك الصغيرة بقية فنادق الشاطىء ، أنصب هجومها على الثلاجات فى الفنادق ، كما هاجمت فيللا فخمة خالية من السكان .. لم تجد ما تأكله فى المطبخ فأكلت المكتبة الخشبية والكتب وشرائط الكاسيت والفيديو ، كما أكلت أجهزة الراديو والتليفزيون وجهاز الدش المركب فوق السطح .

أعددت حقيبتى فى دقائق دون أن أخبر أحدا ، لابد أن أغادر الغردقة فورا ، فقد يقطعون الطريق فى أى لحظة . خرجت من الفندق إلى الفناء الخارجى حيث توجد سيارتى وسيارات النزلاء ، من الغريب أننى لم أفقد عقلى بالرغم من بشاعة ما أشاهده ، كانت أسماك القرش الصغيرة تأكل السيارات .


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
١٠
كل
وأنت
ساكت

كان المطعم فخما لدرجة تشعرك بالدوار ، وأنا عادة أشعر باضطراب خفيف فى الأماكن الفخمة ، مبعثه إحساسى بأننى سأخطىء حتما فى السلوك الملائم لتلك الأماكن . لذلك كنت أحرص ـ إذا حتمت ظروف التواجد فى مطعم فخم ـ أن أتكلم همسا إذا دعت الحاجة ، وأن اكتفى برسم ابتسامة خفيفة وقور على وجهى .

وللخروج من أى مطب كنت أقلد من هم حولى فى كل ما يفعلونه بحيث يبدو سلوكى طبيعيا ، وكأن جدودى الأقدمين كانوا من رواد هذا المطعم .. أما أسماء الأكلات الغريبة التى لا أعرفها وما تسببه من متاعب ناتجة عن سوء الفهم ، فقد كنت استمع جيدا لمن هم حولى وأطلب نفس الطبق الذى يطلبه أى شخص أتوسم فيه أنه أكيل .

كان الرواد جميعا من علية القوم ، بملابسهم الغالية وتقاطيع وجوههم الهادئة الفخمة وأصواتهم الهامسة ، والنساء بملابس السهرة الراقية ، وقد تحلين بالعقود والأقراط والأسوار المرصعة بالماس الذى يتلألأ تحت الأضواء الخافتة المنبعثة من الثريات المعلقة فى السقف والإضاءات الأخرى التى لا تعرف مصدرها .

كان الجرسونات يتحركون فى رشاقة وكأنهم راقصو باليه ، أما المترودوتيل فلابد أن جده كان يعمل امبراطورا ، ففى انحناءاته نبل وعظمة وتواضع ممتزج بالكبرياء .



أمسكت بقـائمـة الطعام بجـلادتها الفخمـة المذهبـة ، أعجبنى طبق اسمه، سواسيس البراجيل المشوى ، مسقى بشـوربة الفناكيش المجرية وتقدم معه قطع الجعاميز المقلية فى زبدة الحناكيش بالنعناع .

سـألنى المتر فى تهذيب : بالتوابل ؟

ـ طبعا .

ـــ هل تحب معه شوربة ؟

ـ طبعا .. لابد من الشوربة مع طبق الحناكيش ..

ـــ تحت أمرك ..

بدأ موكب الأطبـاق فى الوصول على عربة ترولل أنيقـة مصنوعة من خشب البنـدق ، اتضح أن طبق سـواسيـس البراجيل الـذى طلبتـه يتم تجهيزه أمام الزبون ، يعنى يشوى أمامه ، ويسقى أيضا فى نفس الموقع بشوربة الحناكيش التى كانت تشتعل مصدرة لهبا خاطفا بمجرد لمسها للسواسيس ، أمر جميـل للغاية أن تتم تلك اللمسات والطقـوس النهائية أمامك .

عشرات أطبـاق المقبـلات والمشهيـات التـى تنتمى لكل أمم العـالم ، رصت على المائدة بـالإضافـة لحمالة فضيـة فيهـا زجاجـات وملاحـات أنيقة، فيها كل أنواع الخل والـزيتون والتوابل ، لم يكن ينقصنا شـىء ، ومع ذلك قال واحد من المجموعة مبتسما : يامتر .. فين إل .. ؟

قبل أن يكمل جملته قال المتر بسرعة : موجود يافندم .

قـال ذلك وتنـاول من فـوق الترولل سلطـانيـة من البللـور أشبـه بالتحفـة، كان فيهـا مسحوق رمـادى ، هل هو فلفل أسـود ؟ .. هل هو شـىء آخر .. ؟ لست أدرى .

أمسك المتر بملعقـة صغيرة وأخذ يـرش التـوابل على أطباقنـا إلى أن نشير له بالتوقف . ثم بدأ يمـلأ الملعقة الصغيرة من السلطانية البللورية ويرش على أطبـاقنا .. عنـدما جاء الـدور على سألنى بابتسـامة : تحب شوية؟

أجبته فى حماس : طبعا .. طبعا .

ملأ الملعقة الصغيرة من السلطانية البللورية ورشها على طبق الشوربة الخاص بى ، بعد أنّ قلبت الشوربة تحول لونها إلى السواد وزادت كثافتها .

السيدة الجالسة إلى جوارى هى زوجة صاحب الدعوة ، سألتها : كمون ده ؟

فأجابت بابتسامة : لأ .. ده تراب .

ـ أفندم ؟

ـ تراب .. تراب عادى .

على الأرجح هناك نوع غالٍ من التوابل اسمه التراب .. خشيت أن أبدو جاهلا فقلت لها : آه آه افتكرته حاجة تانية .. والله زمان .. أصل المطاعم ماعادتش بتقدمه دلوقت .

أجابت : هو يقدم فقط فى مطاعم الخمس نجوم .

ـ آه آه .. علشان كده .. ده لازم بقى غالى قوى .

ـ بالعكس ده رخيص جدا .. بس المسألة مسألة ذوق .. فيه ناس كتير مابتحبوش .. مابتستطعموش .

ـ عندك حق .. هل تعرفين أن أولادى يكرهون المكسرات ويحبون الفول السودانى .

ضحكنا فى مجاملة ، أمسكت بالملعقة وملأتها من طبق الشوربة وأفرغتها فى فمى ، هل تعرف تلك اللحظة ، لحظة العشق للشوربة التى تسبق وصولها إلى تجويف فمك قبل انتقالها لجوفك بالهناء والشفاء ؟

لم يحدث ذلك ، كان طعمها فظيعا ، كانت للشوربة رائحة التراب فعلا .. نعم ، التراب ، التراب الذى نعرفه جميعا ، ذلك التراب الذى تشمه فى الشارع والذى تنظف حذاءك منه ، نأتى الآن للسؤال المفزع .. إذا كانت للشوربة رائحة التراب ، فهل كانت بطعم التراب ؟

لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال ، لأننى لم آكل ترابا من قبل ، ولكن من بشاعة الطعم وفظاعته أستطيع أن أقول ، نعم ، لقد كانت شوربة تراب ، يعنى وحلا .



بمجهـود فظيع تماسكت وسيطرت على نفسى وعلى التقلصـات التى بدأت تهاجم معدتى ، عدت أقول للسيدة بعفوية : لما الواحد يحب يجيب للبيت تراب .. يشتريه منين ؟! .. فيه سوبر ماركت معين ؟

أجابت : وتشتريـه ليه .. تقدر تبعـت الشغالة تجيبـه من الشارع .. بس تنبـه عليها تجيبـه نـاشف .. مفيش داعى تجيب من الشـوارع اللى المجارى ضاربة فيها .. وممكن تطلب من الكناس .

هل السيـدة تمزح معى مـزاحـا ثقيلا ؟ كيف ذلـك وقد أكلت تـرابـ فعلا؟ يبدو أن زوجها رجل الأعمال الشهير كان يتـابع حديثنا فقال لى أنت مش مصدق إنه تراب ؟

ـ لأ .. مصدق أنا أشعر أننى أكلت وحلا بالفعل .

ـ طعم ؟

تلكأت فى الإجابة ، عجزت عن النفاق فعاد يسأل : هل أحببته ؟

ـ لا يبدو لى أننى أحبه .

— فى البداية يبدو طعمه كريها .. بعد أن تتعود عليه ستحبه .

ـ لا أريد أن أتعود عليه .. ولا أريد أن أحبه .

— جرب ملعقة أخرى .. صدقنى ستشعـر بلذة .. انظر حولك .. ده فيه ناس بتسفه .. نظـرت حولى كانت الناس تأكل التراب بنهم .. أو على الأقل بلا مبالاة ، أو بطريقة عفويـة ، لست أفهم كلمة واحدة مما يقال ، لست أفهم هـذا السلوك ، لا أصـدق أن هـذا الذى يحدث حـولى يحدث بالفعل ، لست أفهم أى شىء ، ولكنى أفهم شيئا واحدا ، لن آكل ترابا .. هذا ما يجب أن أحرص عليه ولكن على أن أتخلص من هذا الموقف بلباقة دون أن أسبب حرجا لأحد ، أشرت للمتر فجـاء وانحنى أمامى فسألته : من فضلك عندكم تراب مستورد ؟

— نعم فيــه . من أى بلـد تحب ؟ لـدينا تـراب إنجليـزى .. تـراب فرنساوى .

قررت أن أجعل الطلب صعبا أو مستحيلا فقلت له : هل لديك تراب سويسرى أو دانمركى ؟

— للأسف سعره مرتفع جدا .

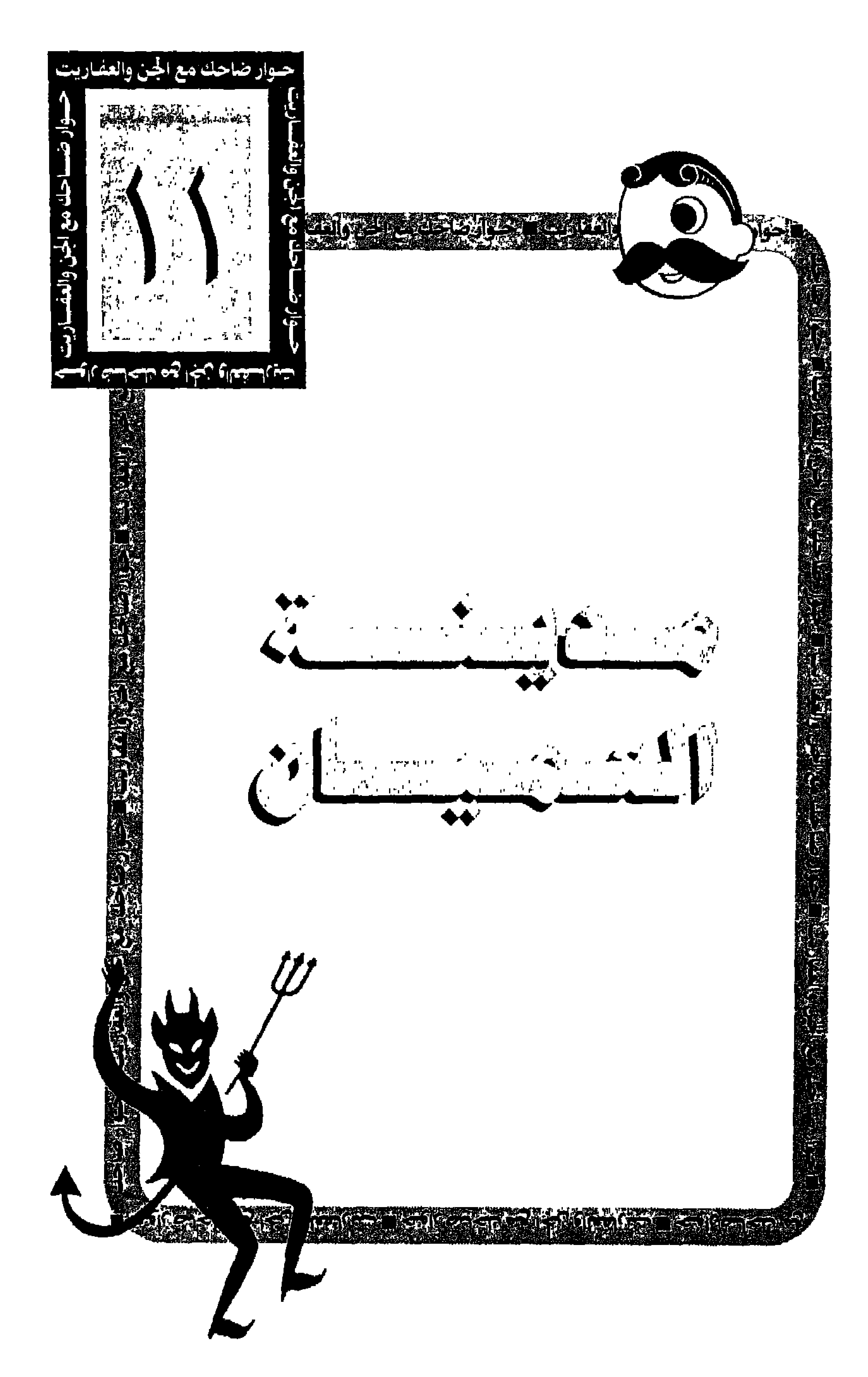
تدخل صاحب الدعوة : ما يهمكش يا متر هات له .

قال المتر : يا فندم ده الجرام وصل ٢٠٠ دولار .. عشان كده بنجيبه بالطلب ولازم نحجز قبلها بشهر على الأقل عشان بنستورده .

شكرته ، وأخذت أقلب الشوربة ، شعرت وقد عدت طفلا يلعب فى الطين ، قالت لى سيدة تجلس أمامى : لا أنصحك بأكل التراب المستورد.. مرة طلبنا تراب بلجيكى فى مطعم كبير ، جابوا لنا تراب مصرى بس نضيف شوية وحاسبونا على أنه بلجيكى ، لكن هو مصرى .. أنا متأكدة هو أنا حاتوه عن طعم التراب بتاعنا ؟

على المائدة المجاورة كانت هناك سيدة وشاب ، قال الشاب بصوت حرص على أن يكون مسموعا لنا ، وهو يلقى على نظرة احتقار سريعة : لسه فيه ناس بتفضل التراب المستورد على تراب أرض الوطن .

بدأت أشعر بالخوف ، أنا داخل فى معركة خاسرة ، هل آكل ترابا وأسكت ؟


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
٢٢
مدينة النسيان

البداية

التى كانت مقررة علينا باللغةالإنجليزية فى مرحلة الدراسة الثانوية منذ حوالى ٤٠ عاما . كانت بعنوان : « مدينة العميان » .

مدينة نائية يسكنها شعب صغير فى أمريكا الجنوبية من آلاف السنين ، المدينة تقع فى مكان ما بين الجبال معزولة عما حولها إلا من ممر وعر يصعب اجتيازه ، فجأة بدأ ينتشر فيها نوع من الرمد الغريب ، أرسلوا بجماعة تحضر لهم طبيبا أو دواء ولكن هذه الجماعة لم تعد إذ حدث انهيار جليدى مروع أحكم العزلة حول المدينة التعسة فاختفت تماما من على خريطة البشر ، انتشرت بينهم الإصابات بذلك المرض اللعين الذى يؤدى إلى العمى ، لاأمل من العلاج بعد أن انقطع الأمل فى الاتصال بالعالم الخارجى .

وبمرور الأعوام تحول الشعب كله لعميان ، وبعد مرور مئات السنين اختفى من قواميسهم وكلماتهم كل ما يشير للرؤية والإبصار ، ولد الأطفال بغير أعين ، جفون فقط تغطى ما كانت أعينا من قبل ، اليوم مقسم إلى جزئين ، جزء دافىء ينامون فيه ، وجزء بارد يعملون فيه ، هناك ملائكة تحلق فوقهم تصدر زقزقة ويسمعونها بوضوح وهى ترفرف بأجنحتها . ازدادت حاسة الشم واللمس لديهم قوة ، كانوا قادرين على تمييز شخص من نبضات قلبه من على



مســافــة كبيرة ، لم يعــودوا بحــاجــة إلى الإبصــار فضــلا عن أنهم لايتصورون وجود هذه الحاسة .

بطل الرواية كان يعمل مرشـدا لمتسلقى الجبال ، ذات يوم وهو يقود مجمـوعة من البشر وسط دروب الجبـال وقممها حـدث انهيار جليـدى ترتب عليه سقوطه من على ارتفــاع آلاف الأقدام .. الصدفة وحدها هى التى حولته لصخرة جليديـة تتخذ مسارات متضاربة بين دروب الجبال الجليديـة وتقذف به من ممـر إلى ممر ومن قمـة إلى سفح إلى أن استقر أخيرا سالما على الأرض ، أرض مدينة العميان .

عندمــا اكتشف أنهم جميعا عميان ، شعــر فى البداية بالنشــوة ، لأنه المبصر الوحيد فى مـدينة العميان ، ألا يقول المثل « الأعـور ملك فى مدينة العميان » فما بالك به وهــو المبصر ، أخذ يحدثهم عن الألوان ، عن الليل والنهــار ، عن النجـوم البعيــدة التى تتـلألأ على صفحــة السماء ، عن الشمس ، عن القمــر ، عن العــالم من حــولهم ، القــارات والحضــارات والمدن والبحــار والأنهار ، عن الـورود والـزهــور الجميلـة ، ولكنهم لم يفهموا كلمة واحدة مما يقول .. ولكن من أين جاء هذا الرجل ؟

قال علماؤهم : هو مخلوق ناقص التكوين نتج عن عوامل جوية مثل الرطـوبة والحرارة ، ولكن عقلـه ليس ناضجــا أو ناقص التكويــن بدليل الكلمات الغريبة التى يهذى بها .

لن يصبح ملكا إذن فى مدينــة العميان ، بل لن يتمتع بحقوق المواطن العادى ، لأنــه مخلوق غير طبيعى ، مشــوه ، ناقص التكــوين ، أكد ذلك المتــاعب الكثيرة التى كـان يتسبب فيهــا لعــدم قــدرتــه على الرؤيــة فى الظلام .. جاءت عليــه لحظات اكتشف فيها أن قــدرته على الإبصــار تضر بــه ضررا بليغا ، ففقــد أعصابــه وبــدأ يفكر فعــلا بعقل مختل ، على أن أدخل معهم فى معركة ، سأهزمهم بالطبع لأنى أرى وهم لا يرون ، هذه هى الطـريقة الوحيــدة التى أثبت لهم بها أن الإبصــار له مزايــاه وأننى متفوق عليهم .

وحدثت بينــه وبينهم معركة ، ولكنهــم بحواسـهم القويــة تمكنوا من

السيطرة عليه بعد أن قتل شخصا وأصاب عدة أشخاص إصابات بالغة.. لم ينتقموا منه ، لم يحاكموه ، لأنه مختل العقل ، هناك جزءان بارزان يتحركان تحت الجفنين عنده يسميهما عينين .. هذان الجزءان البارزان يضغطان على المخ ويسببان له هذا الخبل وهذا الهياج .. والطريقة الوحيدة لعلاجه هى إزالة هذين الجزءين البارزين .. بشرط أن يوافق هو على ذلك ، فقد كانوا متحضرين إلى الدرجة التى لا يرغمون فيها أحدا على شىء ضد إرادته .

كان قد أحب فتاة منهم ، كانت جميلة ، وأحبته الفتاة ، فتقدم للزواج منها ، وافق المسئولون على ذلك بشرط إجراء العملية .. ووافق هو ، ما فائدة الإبصار إذا كان يسبب لى المتاعب ولا يحقق لى أى فائدة خاصة أن الأقدار حتمت أن أبقى هنا إلى أن أموت ، لا توجد على الأرض طريقة للخروج من هنا ، لماذا لا أتمتع بالحب مع الفتاة التى أحبها ما بقى لى من أيام .

وفى اليوم السابق على إجراء العملية ذهب إلى حبيبته وقال لها : هل لابد من إجراء هذه العملية ؟ .. إننى أحب أن أراك ، وأن أرى تقاطيع وجهك الجميل .. كل هذا لن يحدث إذا تخليت عن عينى .. إنهما تلك العينان اللتان جعلتانى أحبك.. إنهما تلك العينان اللتان أرى بهما الكون من حولى .

فردت عليه فى حزن : آه .. لو تتخلى عن قول تلك الألفاظ .

وتركها وأخذ يسير فى شوارع المدينة إلى خارجها .. أخذ يحدق فى قمم الجبال العالية ، الحظ الطيب جاء بى إلى هنا ، والحظ الطيب قادر أيضا على الابتعاد بى عن هنا ، إذا استطعت تسلق هذا الجبل ووصلت إلى هذه القمة ، سيكون من السهل على بعد ذلك أن أشق طريقى إلى قمة أخرى ، على أن أصمد وأن أتسلق بحذر وهدوء إلى أن أصل لممر بين الجبال يقودنى لعالم المبصرين .

جاء بأدوات التسلق ، وبدأ يتسلق فى حذر وثقة ، فى المساء كان الإنهاك ، والتعب الشديد قد استوليا عليه ، فنام فى مكانه

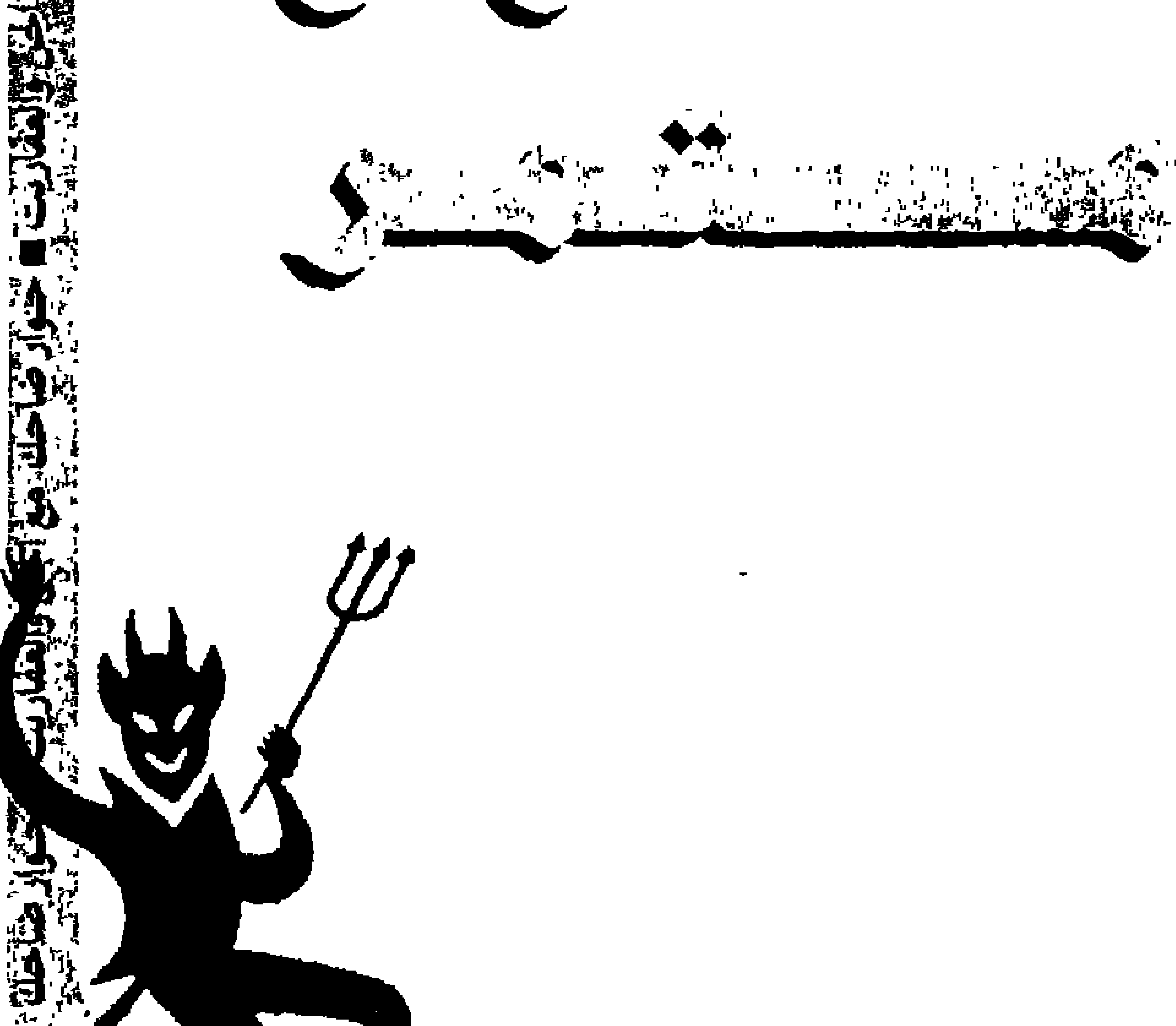


تحت النجـوم البـاردة وهـو يبتسم فى ارتيـاح ، بـالتأكيـد هـو مـازال مستغرقا فى النوم الآن فى نفس المكان .

أمر فظيع أن ترى أشياء لا يراهـا الآخرون ، أما الأفظع فهو إرغامك على ألا ترى شيئا .

١٢

الشرق مستر





عـــدا الكســـــاء الشعبى والمســـاكـن الشعبيـــة والديموقراطيات الشعبية ، أنا أحب كل ما هو شعبى ، لـذلك لم أتردد فى دخـول سينما درجـة ثالثـة فى حى شعبى كـانت تعـرض فيلما قديما مهما هـو « الحرب والسلام » .

كان العرض قد بدأ منذ دقـائق ، تحسست طريقى فى الظلام ، القاعة مزدحمة ، أمسك أحـد الجالسين بيدى وأقعـدنى على مقعد خـال . كانت تفوح منه رائحـة الفول السودانى والمعسل ، رائحـة بمبار وطحال مقلى وتقلية كشرى تهب على من مصـدر مجهـول ، آلـة العـرض رديئـة ، والشـاشة متسخـة ومع ذلك انـدمجت فى الفرجـة . المتفـرجون جميعـا تحولوا لمعلقين ، الغـريب أن عددا كبيرا منهم سبـق له أن شاهـد الفيلم أكثر من مـرة ، بدأت تحاصرنى التعليقـات : الحرب فى هذا الفيلم ليست مسلية ، لأنها قـديمة ، ومـا رأيك فى السلام ؟ السـلام فى هذه المشـاهد بارد . وما هو السلام الساخن ؟ ألا تعرفه ، ألم تذق شوربة ساخنة من قبل ؟ ذقتها طبعـا .. حسنا السلام السـاخن مثلها ..آه فهمت ، ومـا هو السـلام البارد ؟ صـوت عـامل البوفيـه ، اشرب بيبسـى ، اشرب بيبسى سـاقع .. سمعت ؟ هـو بـارد مثل البيبسـى .. آه ، تقصـد أن المتفاوضـين يضعـون أعصابهم فى ثلاجة ، أم مـاذا ؟ يا غبى ، افهمنى ودعنى استمتع بـالفيلم ، السلام السـاخن هو الـذى



يتفق عليه الناس بسرعة ويصنعونه بسرعة ، أما السلام البارد فهو الذى يصنعونه ببرود .. لماذا ؟ هل لأن الدنيا برد ، أو لأنهم باردون ؟

لا يا أخى.. هناك أشياء لا تؤكل إلا باردة .. ومنها السلام ؟ إنت ومزاجك ، هل تعرف اللحم البارد ؟ تقصد الروزبيف ؟

برافو .. أيوه ، أقصد الروزبيف الروزبيف لا يؤكل إلا باردا.. يارجل ، أنت تسخر منى ، السلام لا يؤكل وإنما يعاش ، الناس تعيش حالة السلام ولا تأكله .. حسنا ، هم يريدون أن يعيشوه باردا .. كيف ؟ يعنى لا تحدث فيه هرولة ، لا يحدث بسرعة ، وإنما بالتدريج ..

آه فهمت السلام البارد هو الذى تحدث خطواته بالتدريج ، مثل أى شىء آخر .. الديموقراطية بالتدريج .. التحول للاقتصاد الحر بالتدريج .. التخلص من الأخطاء بالتدريج .. تحويل المجتمع المصرى إلى مجتمع معاصر بالتدريج .. التخلص من القوانين واللوائح الفاسدة بالتدريج .. وهكذا يكون السلام أيضا بالتدريج ..

ولكن ما هو السلام أصلا ؟ وما هو التدريج ؟ من الواضح أنك غبى جدا .. السلام هو الشىء الذى يحدث بالتدريج وبلا هرولة ، أما التدريج فهو نوع من الحلاقة ، عند منطقة « القفا » بالذات ، فتقول للحلاق : درج لى .

بيبسى ، بيبسى ، حاجة ساقعة .. سميط وبيض .. جبنة رومى ، بوم ، بوم ، بوم ، صوت المدفعية فى الفيلم ، أفراد الفصيلة يقاتلون فى شراسة .. هذه التعليقات تمنعنى من الاستمتاع بتحفة تولستوى ، لابد أن أشكو لمدير السينما .

صدقنى أنا لا أفهم حكاية التدريج هذه .. والله يا أخى أنت فاهم كل حاجة ، هل تعرف درجات السلم ؟ هناك أشخاص يصعدونها قفزا وهذا خطر جدا على قلوبهم ، وهناك أناس يصعدون السلم بالإيقاع العادى .. هل الإيقاع العادى هو نفسه التدريج ؟ لأ ، التدريج هو أن تصعد درجة واحدة ببطء ثم تتوقف .. كام دقيقة ؟ لأ ، مش كام دقيقة، كام يوم .. أو كام شهر .. أو كام سنة .. آه فهمت ، يعنى نصعد درجة

على السلم ثم نقف فوقها عدة سنوات .. وبعد ذلك نصعد إلى الدرجة التالية ، لأ ، تنزل إلى الدرجة السابقة ، إذاصعدت إلى الدرجة التالية لا يكون ذلك تدريجيا وإنما صعود ، أما التدريج فهو استهلاك الدرجات .. تسمح لى أشوف الفيلم ؟ هو أنت ماشفتوش قبل كده ؟ لأ .

بيبسى .. حاجة ساقعة .. حاجة سخنة .. عامل البوفيه الغبى ، لماذا لا ينتظر حتى تأتى الاستراحة ؟

لا توجد استراحة ، العرض متواصل .. نعم ؟ متواصل ؟ أيوه فى سينمات الدرجة الثالثة ، العرض متواصل .. لا .. لابد أن أشكو للمدير ، خرجت من مكانى بصعوبة ، سألت على مكتب المدير لم أجده فى مكتبه ، كان فى البوفيه ، اتضح أن المدير هو صاحب البوفيه ، وصاحب عدة محلات حول السينما ، كشرى بمبار ، فول وطعمية ، لب وسجائر .

من فضلك التعليقات تمنعنى من الاستمتاع بالفيلم . رد على باستياء: وأنا مالى .. ما تروح سينما درجة أولى ، أريد مشاهدة هذا الفيلم بالذات .. خلاص ، استحمل ، المتفرجون كلهم أوغاد .. تحمَّل .. هم جميعا فرز ٣ .. هل هناك بشر فرز ٣ ؟ نعم ، المتفرجون . حسنا ، امنع بتاع البوفيه من الصياح فى الصالة ، عاوز تمنع أرزاق الناس ؟ سيب الناس تاكل عيش ، تقصد أتركك أنت لتأكل عيش أنت مديرالسينما ، وأنت صاحب البوفيه وأنت صاحب محلات الكشرى والسجق والكبدة والسندوتشات واللب والفول السودانى .. نعم ، أنا صاحب كل هذه الأشياء وصاحب الفيلم أيضا ، كانت عيناه تقدحان بالشرر ، عاوز حاجة ، لا ، بس كنت عاوز ألفت نظر سيادتك ، إلى إنى غير مستمتع بهذا الفيلم .. أنت حر .. حاضر.. شكرا .

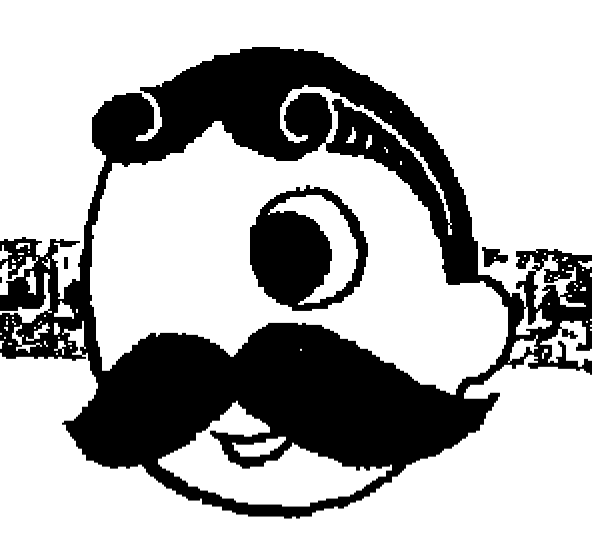
مرة أخرى عدت إلى مكانى ، سكت أصحاب التعليقات الأولى ، هناك تعليقات أخرى من أطراف الواضح أنها نالت قسطا من التعليم .. ولكن لماذا يحارب الزعماء ؟ الزعماء لا يحاربون وإنما يرسلون الآخرين للحرب ، الحرب فظيعة ، الحرب أسهل حاجة فى الدنيا وهى ممتعة جدا والناس تسعد بها لأنها تظنها مثل



الحرب فى الأفـلام ينجو فيهـا البطل فى النهايـة ويعود إلى حبيبتـه. لا .. لابدَ أن أخـرج من السينما .. ممنـوع ، يا أستـاذ ..لماذا ؟ ممنوع تخرج قبل نهاية العـرض ، تعليمات الداخلية .. خد بيـانات بطاقتى العـائلية .. من يدرينى أنها ليست مزورة ، اتفضل اقعد مكانك .. حاضر ، اللفة دى بتاعة مين ؟ لازم إرهابى سابها . بـوم ، انفجرت اللفة، إرهاب ، اسكت ، الإرهاب فى كل حتـة ، واحد مات ، وشـوية اتعوروا .. النـاس بتموت فى كل لحظـة .. ما حـدش يتحرك من مكـانـه ، مش عاوزين فـزع .. مش عـاوزين قلق .. ماحـدش يخرج إلا بعـد نهاية العـرض ، انتهى الفيلم ، الحمد لله .

قمت من مكـانى ، فعلا ، بـدأ الفيلم يعرض من جـديد .. يـا إلهى .. العرض مستمـر فعلا ، وممنـوع الخروج أثناء العـرض .. ومتى ينتهى العرض ؟ سينتهى بالتدريج ، أنت مـابتفهمش بالتدريج يعنى إيه ؟ مش شرحت لك ؟ أيـوه ، شرحت لى ، بس أنا لسـه مش فـاهم .. تبقى غبى ، اسكت من فضلك ، عـاوزين نشـوف الفيلم .. يـا رب عـاوز أخـرج من الفيلم ده !





عن الإسلام يسألون





لم أدرس الإعـلام ولم أزاوله ، ولكنى بـوصفى كاتبـا اعتبر واحــدا من الـــداخلين فى دائرة صنــاعتــه ، وبوصفى واحـدا من سكان المنطقـة أنا من زبـائنه ـ وأغلب الظن من ضحـــايـاه ـــ لــذلك ابتسم فى كمى وأضحك فى سرى وأقهقـه علنـا عنـدمـا أراقب هـؤلاء المنشغلين بتشييد البروج لحماية شعوبهم من تكنولوجيا الإعلام المعاصر .

ولنبـدأ بالتعـريف كما أراه ، إذا اتخذنا مـن منطوق الكلمـة مدخـلا ودليـلا ، يعنى إذا قلنا : إن الثـلاجـة هى ما يثلج الأشيـاء ويحتفظ بها باردة ، وإن المدفأة هى مـا يجعل المكان دافئا ، فلابـد أن يكون الإعلام هو ما يجعلك تعلم ، تعلم ماذا ؟ هذا هو السؤال .. تعلم ماذا ؟

لقـد مـر جيلى لحسن الحظ أو لسوئه بمـراحل من الإعـلام جعلتـه يتعـرف بـوضـوح على مـدارس وأسـاليب إعـلامية من كل نـوع ، هـذه المراحل سياسيـة ، ولكن بقليل من التـدقيق نكتشف أن السياسـة فيها مرتبطة بزواج وثيق بالتكنولوجيـا ، فقبل التليفزيون كان زبون الإعلام يسمع فقط . وكان من السهـل ـ بالتكنـولوجيا ـــ أن يسمع ما يـريده الـوالى ورجـاله مستخـدمين فى ذلك التشـويش على المحطـات الأجنبية ، ومن أجل إحكام الحصار على الـزبون ، كان لابد أن تحدث تلك العلاقة القوية الآثمة بين ما يقوله الراديو وماتقوله



الصحـــف والمجلات تحت قيادة مركزية واحدة بحيث تصدق سيادتك مايقال لك كل التصديق .

ولكن بعض الأوغـاد من زبائن المحطـات الأجنبية الذين تمكنـوا من الحصول على أجهـزة راديو قوية ،أو تمكنـوا من سماع بعض الحقائق بـالـرغم من التشـويش ، أقول : تمكـن هؤلاء الأوغـاد من التعـرف على حقائق أخرى تلغى تماما بضاعتنا الإعلامية ، هذا بالإضافة إلى أن عددا كبيرا من بين هؤلاء الأوغاد الناكرين للجميل - مش احنا اللى سفرناهم - كانـوا يستمعون إلى هذه المحطات بـدون تشويش ويتعرفـون عن قرب على أساليب الحيـاة والحكم وإدارة المجتمعات ويشاهدون أيضـا جهازا لم يدخل بلادنـا بعد يسمى « التليفزيون » أو « المرنـاو » وسمى كذلك لأن الناس « ترنـو » إليه ، كما أنهم فى غفلة منا تمكنـوا من إجادة لغات أجنبية مكنتهم بسهولة من قراءة صحف الغرب ومجلاته ، فكان العلاج لإعادتهم لحظيرة إعلامنـا هو حملة اتهام قويـة لهذه المحطات والعاملين فيها بأنهم مجموعـة من الأنذال الأوباش الذين يشـوهون الحقائق ، من أين عـرفت هـذا الكـلام ؟ أليس من الإذاعـات الأجنبيـة ؟ يـا رجل هل تصدق إعلام الغرب .. ؟ هل تصدق صحفه ومجلاته ؟

نتج عن ذلك أن ظهـرت مجمـوعـة من المتعلمين المنبـوذين المكـذبين لإعلامنا ، المصدقين لما يقوله إعلام الغرب ، وتكونت منهم حلقات ضيقة تحرص على عدم ترديـد ما تعرف علانيـة ، فمن البديهى أن من يصدق إذاعات وجـرائد الأوغاد وغد مثلهم يستحق العقـاب أو على الأقل تفرض عليه العزلة .

ولكن ما هى مادة الإعلام فى هذه المرحلة ؟

من الممكن تلخيصها فى أغنيـة واحدة تغنيها شهـرزاد « عسل وسكر عسل .. حبيبى عسل وسكر » كل تفـاصيل الحياة عندنـا عسل وسكر ، أما حبيبك فهو الحكومة ، إنها مـرحلة الإعلام المعسل تأكل فيها العسل وتدخن فيها المعسل ، هى مرحلـة العظمة ، الأرض لا تعرف ما هو ومن هو أعظم منا ، نحن لا نعرف الخطأ ، ولا يأتينا الباطل ، لا نعرف القبح

ولا الضعف ، فميـزتنا الـوحيدة هى الجمال والقـوة والعدل والحكمـة ، شعوبنا من الملائكة لا يعرفون الإثم ، نحن أطهـار يا حلاوتنا ، ورجالنا أكثـر الرجـال حكمـة « وقرننـة » وعلما وذكـاء ، لا أحد يفهم مثلنـا فى الحياة ، نحن أقـوى الأقويـاء « يا أرض اتهدى مـا عليكى قدى » ولكن إثبات ذلك كلـه للزبـون أمر صعب إذا قـررت أن تقيم الدليل العملى على صحته ، لذلـك لجأ الإعلام لطريقة سهلة ومقنعـة ، وهى الحديث الدائم عن أن الآخرين أوغاد وضعفاء ولا أخلاق لهم ، وبـذلك يفهم الزبون أنه عكس ذلك ، لأن العقل البشرى ميال بطبيعته إلى تصـديق أن الآخر قذر والأنا نظيف .

هل كان رجـال الاعلام فى هذه المرحلـة يصدقـون ذلك ؟ ليست لدى إجـابة أثق فى صحتهـا ، ولكن من السهل القـول أنهم يتصـورون ـــ بل ويؤمنـون ـ بأن الاعـلام وظيفته الحقيقيـة هى « الإجهال » لا يجب أن يعرف المواطن العـادى أى حقيقة مؤلمة ـــ لتكن الحقائق المؤلمة معـروفة لرجـال أمن الدولـة فقط .. ومش كلهم ـ واتسعـت دائرة الحقائق المؤلمة لتشمل كل مـا هـو حقيقـة وحقيقى ، كل مـا يحدث على الأرض خـارج برطمان العسل هـو حقيقة مؤلمة لا يجب أن يعـرفها المواطن .. يعـرفها ليه؟ ستنهـار ثقته فى قيـادته السيـاسية فتنهـار الدولـة ، هذه النظـرة قادتهم هم أنفسهم إلى أن يصدقوا أن تفاصيل الحياة فعلا عسل وسكر وأن حبيبى عسل .

فكـان لابد أن تأتى الضربـة من الخارج ليكتشف الجميع أن حبيبى ليس عسلا كله ولا سكرا ، بل فيـه بصل وفلفل حراق وشطة ، هو مثل كل المحبين مخلوق مـن دم ولحم ، ومن الممكن أن يكون ضعيفـا وغبيا وعبيطا ومهمـلا بل وفاسدا أيضـا ، وأنـه كان قويا فى أشيـاء وضعيفا فى أشياء أخرى ، عرفنا ذلك عندما دخل إعلام الغرب المنطقة بعد المدرعات مبـاشرة فى ١٩٦٧ ، بدأنـا نكتشف أن مـا كـان يقـوله إعـلام الأوغاد أقل من الحقيقة .. مؤلمة كانت أو مفرحة .

ولكن رحمة السماء ورغبتهـا فى حماية الإنسان مـن نفسه



ومن حكامه ، ألهمت بعض الناس تقـديم المزيد من الاختراعات ، والمزيد من التكنـولـوجيا ، التى هـى خير ورحمة وبركـة ، هى إبـداع من البشر هدفه تـدعيم حرية الناس وتمكينهم من العيـش على نحو أفضل ، بدأت تنزل علينا حبـات البركة حبة حبة ، وقفـت الأقمار الصناعية فى السماء بعيـدا عن أيدى الـرقباء والمخبريـن ، ترسل الحقـائق والإبداع ورسـائل الديمقـراطية والحريـة ونماذج الحياة النظيفة الكـريمة والقـذرة أيضا ـ اختر أنت ـ إلى الناس فى بيوتهم ، تسللت أشرطة الأفلام المبدعة فى حجم الكف ليراها الناس على جهاز الفيـديو الصغير دون أن يضطروا للذهاب إلى دور السينما ، فهى أحيانا غير موجودة أصلا وغير معترف بوجودها على الأرض ، ودون أن يضطروا للسفـر إلى لندن أو بـاريس لمشـاهدتها هناك .

يا نهار أسود ، سترى النـاس عندنا الناس عنـدهم ، سيقارنون بين الحيـاة عندنـا والحيـاة عندهم ، والأخطـر من ذلك إلى حـد الكارثـة أن يكتشفـوا أن الآخـر ليس وغدا وقـذرا على طـول الخط ، سيقـوى العقل الناقـد الذى يحلل ويقارن وقـد يكتشف فى النهايـة الأوغاد الحقيقيين ، انتاب الفزع كـارهو الحرية المتمسكين بالعبـودية ، وحاولوا الـوقوف فى مواجهة التكنولوجيا ، ولكن هيهات .

هل يستطيع حملة النبال الصمود أمـام المدرعات ، هل استطاعوا من قبل الوقوف والانتصار على الموتور والتليفـزيون والتغراف إلى آخر تلك البدع ؟ لقد تحول العالم كله بالفعـل إلى قرية صغيرة ، وتنبه الغرب بعد حـوادث مـؤلمة إلى أنـه لا يمكن لهم العيـش فى سـلام ورفـاهيـة بينما الآخرون مكبلـون فى الأغلال والجهل ، إن شخصـا واحدا ينعم بـالجهل والوحشيـة فى ريف مصر قد يكون خطرا أيضـا على المواطنين فى شوارع نيـويـورك ، كما أن الغـرب اكتشف أيضـا أنـه عنـدمـا يبيع الأسلحـة الكيماوية لديكتاتور فى المنطقة ، فقد يحدث أن ترغمه الظروف أن يرسل أولاده ليموتوا بنفس الأسلحة ، اتضح أنـه لابد من الأخلاق حتى فى هذا النوع من « البزنس » .

ونتيجة إضافية لكون هذا العالم أصبح صغيرا ، حدث انقلاب مروع فى نظام قنوات المعلومات الرسمى الذى كان يستمد قوته من معرفته هو وحده للمعلومة ، ثم إخفائها أو التحكم فى مسارها ، لم تعد له الأهمية القديمة .. يستطيع أى مخلوق فى أى مكان معرفة ما يحدث فى أى مكان حتى قبل أن تسمع به قيادة بلده السياسية ، بعد أن عرفت الأرض قبيلة جديدة من الجن والعفاريت تسمى وكالات الأنباء التليفزيونية ، من كل شكل وكل صنف وكل نوع ، تتصارع وتتنافس على أن تقدم لك الخبر حال حدوثه ، ثم تستدعى لك — فى منزلك — مجموعة من العباقرة ليقوموا بتحليله لك .

فبدأت الأرض تميد تحت أقدام أعداء للحرية وعشاق الخراب ، كان لابد من حملة مضادة لإيقاف تيار الإعلام الذى يبث المعرفة ويدعو للحرية ، ولئن كانت تكنولوجيا الإعلام المعاصر هى حبات البركة الحديثة ، لماذا لا نركز على الاهتمام بزيت حبة البركة ؟ وبذلك نوسع من دائرة الجهلاء والعبيد وندعم ذلك كله بحملة ضد قيم الغرب السافلة ، بل دعونا نتجاوز كل الحدود ونقول : الغرب كافر .

ومع ذلك وبالرغم من كل ذلك ، أقول بوضوح : إن إعلام السكر والعسل ، إعلام الجهل والعبودية بدأ الرحيل فعلا ، والمرحلة القادمة هى إعلام الحرية والعلم والمعرفة .

« الإجهال » يكافح من أجل البقاء ، ولكن الإعلام يوجه له بالفعل ضربات قاصمة متمثلة فى جيل كامل من الانتلجنسيا والكتاب والصحفيين ومعدى البرامج المسئولين الذين يشعرون بالغيرة وبالحب للحياة ولأوطانهم ومواطنيهم .

ولكنك إذا أمعنت النظر فى الصحافة العربية ، ستجد عناصر «الإجهال» والإعلام تعمل جنبا إلى جنب ، لأن النهار لا يكشف عن نفسه دفعة واحدة ، بل يتسلل ببطء خارجا من جوف الليل ..

هذا هو آخر ما تبقى من إعلامنا من نظام الحكم الشمولى ، التوازن الأهبل . ضع واحدا من اليمين وضع بجواره واحدا



من اليســار ، ضع ذئبـا وبجواره حملا فى كـابينـة واحدة مغلقـة ، عين مجرما وعين إلى جواره شخصا بريئا ، هـات كاتبا يغنى للحرية ، وضع بجـواره كاتبـا يصرخ طـالبا الاستبـداد والفـاشية ، هكـذا نحصل على التوازن المطلوب .

سؤال : هل أنا أطلب منع بعض الناس من الكتابة ؟

الإجابة : لا .. فلست غبيا أو شريـرا ، ولا أرضى بفرض أى نوع من الفاشية باسم الحرية ، بل أنا أطلب لهم الحرية كل الحرية فى الاستمتاع بـالإعـلان عن أفكـارهم والـدعـوة إليهـا فى صحـافتهم الخاصـة وعلى حسـابهم .. أنـا مشتـاق لـرؤيـة صحـافـة ومجلات ومحطـات إذاعـة وتليفزيون لا يعمـل بها سوى من يطلب الاستبداد والوحشيـة ، هذا هو التوازن الحقيقـى ، الحرية ، كل الحرية ، مـن يحمل فكرة ويـدعو لها ، عليـه أن ينفق عليهـا .. وليقف القانـون بـالمرصاد حـارسـا للبشر لكى تعـرف بعض الأطـراف أن التحـريـض على العـدوان جـريمـة يستحق مـرتكبها العقـاب .أطلب الحريـة لأننى أطلب قـوة الدولـة ، وأطلب قـوة الدولة لأننى أطلب العـدل للإنسان الفرد الـذى يستحيل الحصول عليه إلا بقوة الدولة .


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
١٤
الديمقراطية

أشواك

المالية ليست على ما يرام ، دعنى اعترف بعد طول مكابرة أننى أعمل فى تجارة خائبة وسلعة لا مشتر لها وهى التفكير فيما ينفع البشر ، أقصد التفكير الصحيح، وإن شئت الدقة ، ما اعتقد أنه صحيح .

ـ لقد اخترت السلعة الوحيدة الراكدة فى طول التاريخ وعرضه ، نحكمت على نفسك بالعوز والحاجة . فحتى عندما يشترى الناس الأفكار الصحيحة ، يدفعون فيها ثمنا بخسا ، إذا كنت صادق العزم فى الثراء فعليك أن تغير نشاطك التجارى والحياتى ، تعامل فى السلعة التى يقبل عليها الناس .

ـــ هل أبيع أفكارا زائفة ؟

ـــ فات الوقت .. لقد انتهى الأمر وانفض السوق وتم تسكين كل الأفكار الزائفة المربحة فى خانات مستقرة .. وليسوا فى حاجة لوافدين جدد .. اسمع يا صديقى ، لماذا لا تنشىء حزبا جديدا ؟

ـــ فكرة والله .. هذا ما أفكر فيه بالفعل .. أفكر فى إنشاء حزب جديد ينادى بالحرية السياسية والاقتصادية ويقلم أظافر البيروقراطية .. حزب يمجد دور المرأة باعتبارها خط الدفاع الأول للأسرة ومصدر الحياة ، حزب يمجد العقل ويعمل على تكوين شريحة ارستقراطية نبيلة فى المجتمع المصرى ، لا تكذب ولا تتجمل ولا تتقبح ولا تتقيح ، ولا تتربح ولا تتبجح ، ولا تتحرج ، ولا



تتأرجح ، بل تفكر فى حرية ومسئولية وتعلن ما تفكر فيه فى شجاعة وتهذيب .

ــ هذا حزب مخالف للدستور ، لابد أن يكون الحزب اشتراكيا يعترف بدور القطاع العام الرائد فى الاقتصاد .

ــ لست أؤمن بذلك .

ــ لا بأس بعد أن تحصل على الموافقات والمعونات المالية .. والذى منه .

ــ ما هو هذا « الذى منه » ؟

ــ ستعرفه بعد أن تحصل على الحزب .. بعد أن تحصل على كل الموافقات القانونية والدستورية .. غيِّر طبيعة الحزب ، وغيِّر مبادئه ، وغيِّر أفكاره ، ولن يحاسبك أحد حتى لو جعلته حزبا بطيخيا .

ــ تقصد أنه لا يمكن الحصول على حزب ينادى بالحرية السياسية والاقتصادية ، وأن الشرط الأول للموافقة على إنشاء هذا الحزب هو الاحتيال ؟ هل من المحتم أن أكون محتالا لكى أحصل على حزب يحارب الاحتيال ؟

ــ نعم .. الطريف فى الأمر أن الموافقة على إنشاء حزب ، تعتبر هى نفسها الموافقة على الاحتيال ، الاحتيال تتضمنه الموافقة وتحتمه ، عندما يتقدم مخلوق الآن بطلب للحصول على حزب ومعه مجموعة أفراد ٥٠٪ منهم عمال وفلاحين و ٥٠٪ مجرد أسماء لبشر ، عندما يلتزم مخلوق بإجراء يعلم علم اليقين أنه زائف وغير حقيقى وغير واقعى وضد العقل وضد التنمية ، إجراء فرضته أسباب تاريخية زالت ، عندما يفعل ذلك ، ألا يكون محتالا ؟ أو لا تكون الموافقة عليه تعنى تشجيعه على المزيد من الاحتيال فى أى اتجاه وأولها اتجاه الكسب غيرالمشروع ؟

ــ ليس من المحتم أن أنشىء الحزب ثم أسير فى خط الاحتيال ، سأكتفى بالاحتيال مرة واحدة فقط إلى أن أحصل على الموافقة وبعد ذلك أتمسك بمبادئى .

ــ كذبة من أكبر أكاذيب التاريخ .. ابدأ بالاحتيال ، تنضبط خطواتك

على الاحتيال للأبد .. وينتهى بك الأمـر إلى الأخذ بسياسة رمى الجتت فى طريق الـديمقراطية .. اقصد تلقيح الجتت .. جتتك وجتـة صحفك وجتة حزبك .

— عفوا ما هى سياسية تلقيح الجتت فى طريق الديمقراطية ؟

ـ هى سلـوك قـديم يعـرفه سكـان الأزقـة والحوارى .. والنسـوان الشلق. الواحدة تخبط رأسها فى الحائط فتسيل منهـا الدماء وتتوجه إلى قسم الشرطة على الفور لتقدم بلاغا أن فلانا ضرب الديمقراطية .. أقصد ضربها.. ولا بأس من بعض التحـابيش .. سرق صيغتى يا بيـه .. وكان معايا عشرين جنيه خدهم .. ومش لاقية الساعة يا بيه .. منه لله البعيد.

— آه .. آه .. فهمت .. ولكن ماذا عن الأموال ؟

ـ الـدولة نفسهـا ستعطيك الأموال اللازمـة للاعتـداء عليها وتخريب سياستها ، ستعطيك التسهيلات المطلوبة مـن خلال مؤسساتها القوية ، بعد ذلك ستـدافع عن أصحاب الأنظمـة الفاشيـة فى المنطقة وتشتم لهم خصومهم وتقوم بحملة إعـلانية عن محلات الجزارة المنتشرة فى بلادهم والـذين يبيعون فيهـا لحوم البشر .. لن يقـدموا لك رشـوة . سيشترون أعـدادا بـالآلاف من صحيفتك ثم يعـدمـونها ، لأن النـاس لا تقـرأ فى بـلادهم. غير مسموح بـذلك طبقا لقـواعـد الجزارة الديمقـراطية .. أمـا طريق النجـاح فى السوق المحلِّى فهو أن تكون فى كل يـوم وكل عدد وكل سطـر وكل خبر وكل مقـال كـاذبـا مـزورا ، قليل الأدب قليل الحيـاء فيخشاك الجميع طبقا للقاعدة التى تقول : « الشلق ست جيرانها » .

— ولكن لماذا تـدفع الـدولـة لى الأمـوال الـلازمـة لـلاعتـداء عليهـا وتخريب سياستها وتشويه أعمالها ؟

ـ أنت بتسألنى ؟ .. مزاجهـا كـدة يا أخى .. أو لعلهـا تتصور أنـه بتقديـم المساعدات لـك تصنـع منك حليفا .. أو وغـدا جديدا تسحـب به الأرض من تحت أقـدام بقية الأوغـاد .. أو .. أو .. أو.. أو .. إلى آخـر هـذه الأوأوات .. التى تـدفـع بعض النـاس إلى فعل ذلك بدافع من حدة الذكاء .



— ولكن لنفرض أننى تعديت حدودى .. ماذا سيحدث لى ، ألا يمكن أن تعاقبنى الدولة ؟ أو على الأقل أن يعاقبنى جناح فيها ؟

—— ممكن . محتمل .. ولكن حتى فى هذه الحالة .. ستصرخ : الحقونى.. الحقوا الديمقراطية ، وتقيم سرادقا أمام حزبك تتقبل فيه واجب العزاء فى الديمقراطية التى قتلتها الدولة ، وتصبح بطلا ، وستجد عددا كبيرا من العناصر « الديمقراطية » يصيح معك : ما كانش يومك ياديمقراطية.. بعد ذلك تسحب ناعم إلى أن تتاح لك الفرصة مرة أخرى لقلة الحياء .

— لأ يا عم .. مش عاوز .. هذا طريق سخيف .

ـ ولكنه مربح .. هذا هو الطريق الوحيد للنفوذ والفلوس والقوة هذه الأيام .

أنا أريد حزبا معارضا ولست أريد إعلان الحرب على الدولة ، هذا النوع من الإعلام هو إعلام حرب وليس إعلام معارضة .. إعلام الحرب وحده هو الذى يفبرك ويزور ويختلق ويلقى بالوحل على « العدو » لكى يكرهه الناس ومن ثم يحاربونه .. أما إعلام المعارضة فهو يكشف أخطاء الحكومة ويكشف أخطاء المسئولين فيها من أجل تقوية بناء الدولة نفسه .

ـ أنت تكلمنى عن الدولة ؟ أنا أكلمك على الفلوس .. هل تريد الحصول على دولة قوية أم فلوس قوية ؟

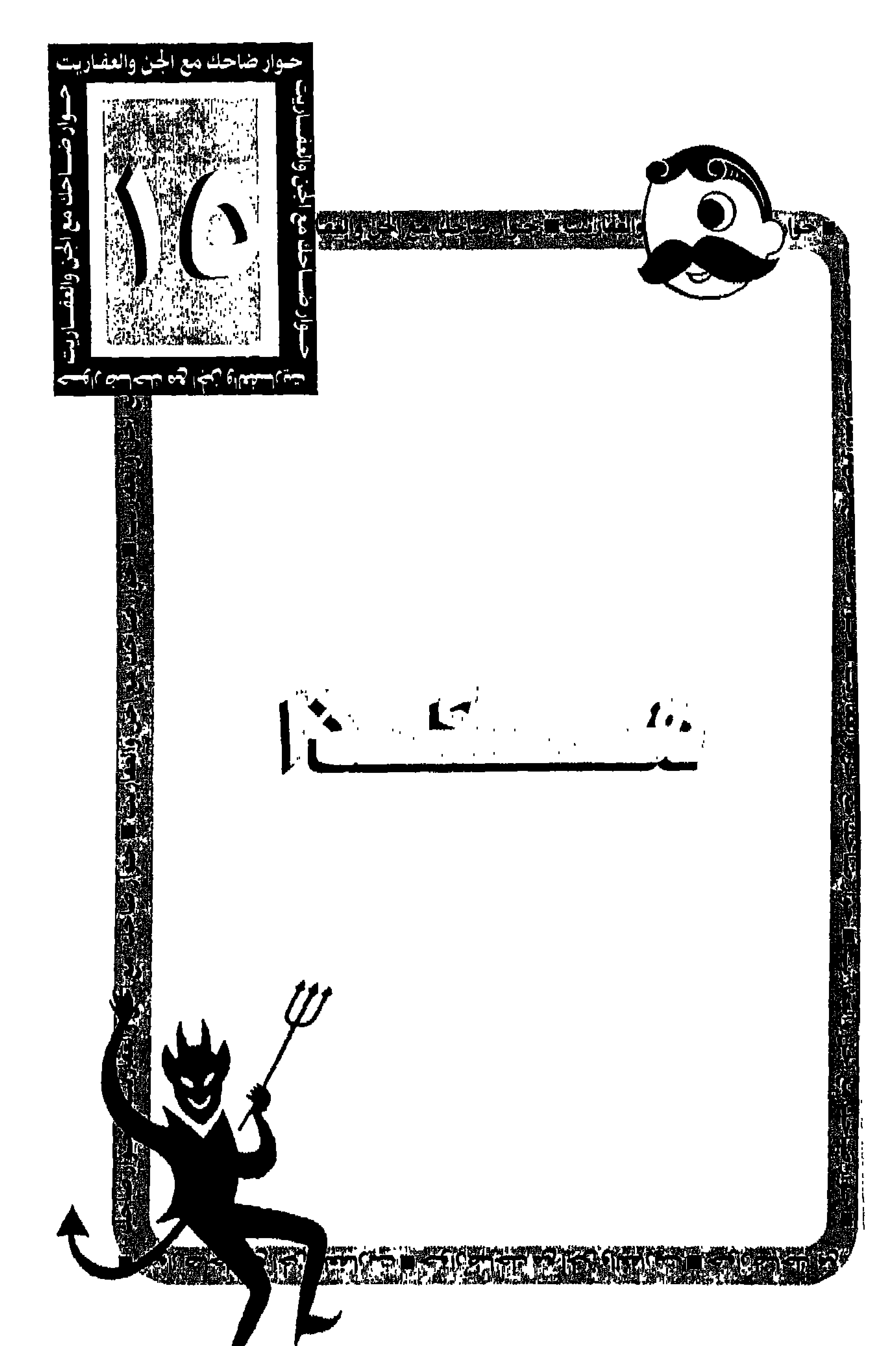
— الاتنين ..

ـ مستحيل .. اختر واحدة منها .

— حاضر .. بما أنه لا أحد يسمع ما نقوله لتقوية هذه الدولة .. فلا مفر من الاختيار الواقعى الآخر .. الفلوس .

ـ هنيئا لك باختيارك .. أمر واحد فى هذه العملية يدعو للألم .. جيل كامل من الصحفيين الشبان سيعملون معك .. يتدمر مستقبلهم .. ستدربهم وتعودهم على الكذب والاختلاق والنصب والاحتيال وقلة الحياء ، فيتصورون أن هذه هى الصحافة ، وذات يوم ستتخلص مصر

من صحافة الحرب .. بسقوط الأنظمة الفاسدة فى المنطقة ، وبسقوط شمولية الاقتصاد والسياسة ، عندها سيطلب من هؤلاء الشباب أن يكونوا صادقين ، مهذبين ، محترمين ، عندها سيكتشفون أنهم عاجزون عن ذلك ، ويكتشفون أيضا ــ بعد ضياع الوقت ـ الفرق بين الصحافة والجريمة .



هكذا

هذا الخطـاب فى بريـد القراء بجـريدة الأهـرام فى ١٥ مارس ١٩٩٤ بعنوان هكذا :

« إن أمريكا تريد مصر هكذا ، تـريدها فقيرة ، معدمة على حـافـــة الهاوية بين الحياة والموت لأنها لا ترحب ولا تـريد زعـامــة مصر فى المنطقة ، لأن أمـريكـا تعرف تمامـا أن مصر عنـدما تـدخل ميدان التنمية وتقف على قدميهـا اقتصاديـا تستطيع أن تفعل الكثير . وأمريكا قبل غيرها تعلم أنه فى ذلك الوقت لن تستطيع أية قوة فى العالم أن تحرك (فى الغالب هــى تحول) السياسة المصرية عن مصالحهـا وعن أهدافهـا الوطنيـة .. إن أمريكـا لا تريد أن تتعـامل مع مصر القـوية وهى بـدلا من أن تـرسل لها الاستثمارات المالية — وهى قادرة بالطبع ـ أطلقت عليهـا البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وأخيرا الجات] .

ليست أمريكا وحـدها التى تريد مصر هكذا ، لـدى معلومات حصلت عليهـا من مصــادر سرية وعلنيـة تثبت بشكل قـاطع لا لبس فيـه ،أن هناك مـؤامرة كونيـة كبرى على الشعب المصرى ، تريـده هكذا .. وأصل الحكاية أننى جلست بالصدفة مع شـابة أجنبية تعمل ضابطة مخابرات هولندية، قالت لى فى لحظات صراحة : أنا أكره مهمتى ..

ـ وما هى مهمتك أيتها الحسناء القـادمة من حقول الزهور فى هولندا ؟



— سأصارحك .. بشرط أن تحتفظ بما أقوله لك سرا .. مهمتى هى أن تظل مصر هكذا .

ـ هكذا كيف ؟

— ضعيفة .. مدينة .. ملبوخة .. مليئة بالحيتان .. عاجزة عن حل مشاكلها .

ـ لماذا أيتها الزهرة ذات العبير المنعش ؟

— لأننا نعرف فى الغرب ماذا يعنى أن تكون مصر قادرة وغنية .. فى هذه الحالة ستفعل الكثير .

ـ الكثير .. ! ما هو هذا الكثير أيتها الزهرة المتفتحة ؟

— ألا تعرف الكثير ؟ .. لقد قالوا لنا ذلك .. وأنت تعرف أننا فى العمل السرى لا نسأل .. نحن ننفذ الأوامر فقط .. هناك إدارة جديدة فى مخابرات الغرب اسمها إدارة « هكذا » ومقرها جزيرة « كاباكا » فى المحيط الهندى .. هذه الإدارة تضم عضوا من كل أجهزة مخابرات الغرب .. فرنسا وبلجيكا وإنجلترا وإيطاليا وسويسرا والدانمرك وعدة دول أخرى .. وظيفة هذه الإدارة هى أن تظل مصر .. هكذا .. وأن يبقى الشعب المصرى .. هكذا .. وأمريكا طبعا هى التى تمول هذه العملية .. التى تسميها دوائر الغرب العليا .. عملية هكذا .

ـ هكذا ؟

— نعم ، هكذا ..

ـ لقد أوضحت لى الآن يا سيدتى الجميلة الصريحة أشياء لم أكن أفهمها ، فكثيرا ما تساءلت بينى وبين نفسى ، لماذا لا ترسل أمريكا لمصر عشرة مليارات من الدولارات كل شهر .. ولماذا لا ترسل إنجلترا خمسة مليارات من الاسترلينى شهريا .. وأين فلوس فرنسا .. وإيطاليا.. وألمانيا ؟ أنتم إذن المسئولون عن تلويث البحيرات وتبوير الأرض وعدم التحول للحرية السياسية والاقتصادية .. والفساد الإدارى والسياسى والجهل والتخلف .

— طبعا ، أم أنك تتصور أنكم قادرون على صنع ذلك بمفردكم أو بمجهودكم الذاتى ؟

ـ والله أيتها البدر المنير .. كنت أتصور أن كل مشاكلنا من صنعنا نحن .

— صعب يا عزيزى .. مستحيل أن يتمكن شعب بمجهوه الذاتى من فعل كل ذلك .

ـ هكذا .. ؟

— هكذا .

ـ حرام عليكى .. حاتروحوا من ربنا فين ؟

— يا عزيزى نحن نقوم بالدفاع عن أنفسنا .. نحن نعرفكم جيدا .. أنتم فراعنة .. إذا لم نحرص على بقائكم هكذا .. ستزرعون ملايين الأفدنة وتسددون ديونكم وتبنون جيشا قويا تغزون به أوروبا وأمريكا .. هذه هى تجربة التاريخ .. ألم يكن هذا هو ما فعله الفراعنة وفعله محمد على .. ؟

ـ هكذا .. ؟

— طبعا ، هكذا .

ـ هل معكم إسرائيل فى إدارة هكذا ؟

— لا إسرائيل أنشأت إدارة أخرى اسمها إدارة القضاء على العرب وعلى مصر والمصريين .. وليس لجعلهم هكذا .. ولكنها غير قادرة طبعا على تحقيق ذلك .. لذلك رأينا فى الغرب أن الأمر الواقعى الوحيد المتاح سياسيا هو بقاؤكم هكذا .

ـ يا نهار أسود يا حسنائى المخابراتية .. وهل سنظل هكذا فترة طويلة ؟ يعنى هل ستحرصون على بقائنا هكذا عددا كبيرا من السنوات؟

— نعم ، سنحرص على بقائكم هكذا إلى أن تتعودوا على أن تكونوا هكذا .. ثم تسعدوا وتستمتعوا ببقائكم هكذا .. وبالتالى تحرصون على أن يكون مستقبلكم أيضا هكذا .. عندها سيتوقف عملنا فى إدارة هكذا .. وهكذا تتولون أنتم مهمة أن



تظلوا هكذا .. بل ستحاربـون وتعاقبون أى شخص يحاول أن يخرجكم من حالة هكذا .. وهكذا نضمن أن تكونوا هكذا للأبد .

ـ بقى هكذا .. ؟

ـــ طبعا هكذا ..

ـــ أنتم أشرار أيتهـا الـوردة المتفتحـة .. والله أنتم أشرار وأوغـاد وزبانية وقتلة .

ـــ قلت لك : إننا ندافع عن حضارتنـا الغربية ، ومع ذلك أنا اعترف أننا أشرار وأوغـاد بينما أنتم طيبون وأخيار وبلهـاء .. فالبلهـاء وحدهم هم الذين يمكن السيطرة عليهم هكذا .

ـ أنتم ـــ أيها الشيطان الجميل ـــ المسئولون عن هـذه الزبـالة التى تملأ الشوارع والأحياء العشوائية وانعـدام الكفاءة وسقوط الحرفة وهذه المسرحيات والأفلام العبيطة ؟

ـــ طبعا .. أمال إنت فاكر أنتم اللى عاملينها ؟

ـ والله أنـا كنت شاكك فى الحكـاية دى .. لكن أنت نـورتينى .. ولكن لماذا يا نجمـة الليل المضيئة تفشين لى كـل هذه الأسرار ؟ ألا تخشين أن أنشرها ويقرأها الجميع ؟

ـــ هاها .. هاها .. هـاهاى .. لدى أوامر أن اعترف لك بأسرار عملية هكـذا ، فتنشرهـا على النـاس وبـذلـك يشعـرون بـاليأس المريح .. ويتخلصـون من الإحسـاس بالـذنب والمسئـولية .. فيرحبـون ببقـائهم هكذا.. لأن النـاس عندما تعرف أن مشـاكلها وكوارثهـا من صنع الغرب القوى لن تفكـر فى مواجهتها بـروح المسئولية وحلهـا .. وتظل هكذا .. وبذلك نكون قد نجحنا فى مهمتنا وهى أن تظلوا هكذا .

ـ حسنـا أيتها الـزهرة الشريرة .. سأكتب خطـابا مفتـوحا للمثقفين وأصحـاب الضمائر وجماعـات حقوق الإنسـان أفضحكم فيـه واكشف خطة هكذا .. وبذلك يهاجمونكـم ويضغطون عليكم فتقفلون إدارة هكذا وتكفون عن جعلنا هكذا .

ـــ هاها .. هاهاى .. هذا هو بالضبط ما نريده .. لقد قررنا أن نغلق

الإدارة ونوفر ميزانيتها .. هنـاك جهة أخرى ستتولى المهمة وتحرص على بقائكم هكذا .

ـ ماهى هذه الجهة أيتها الشر العذب ؟

— أنتم .. هناك حالة عقليـة اسمها حـالة إلـ « هكذا » عندما تصل إليهـا الجماعـة فإنها تحرص على التمسك بها .. وهكـذا تظل إلى الأبـد هكذا .

ـ يعنى لا أمل .

— طبعا ..

ـ هكذا .. ؟

— طبعا .. هكذا .


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
٢٦
البقية
فى حياتكم

لست مع هـؤلاء الذين هـاجموا الشاعـر نزار قبانـي بشدة وعصيبـة ، ولا مع هـؤلاء الـذين دافعـوا عنـه بنفس الشدة والعصبية ، فلم يحدث منـه ما يستوجب ذلك ، الـرجل يسأل سـؤالا بسيطـا .. متى يعلنـون وفـاة العرب ؟

ـ هو سؤال مهين .

ـــ لماذا ؟ هل هى إهانة للإنسان أن يتوفى ؟ .. كل البشر سيتوفاهم الله .. أين هى الإهانة فى ذلك ؟ ..

ـ ولكن العرب أحياء .. أحياء عند حكامهم يرزقون .

ـــ لماذا العصبية إذن ؟ الرجل يسأل بسلامـة نية ، وعلينا أن نجيبه بلا حساسية : نحن أحياء ياسيد نزار فينتهى الأمر .

ـ هذا هو بالضبط ما يريـده الشاعر الخبيث .. أن نجيبه إننا أحياء ، فينتهز الفرصـة على الفور ويطالبنا بـالأدلة والإثباتات على أننـا على قيد الحياة .

ـــ وهل إيجاد الـدليل أمـر صعب ؟ نحن نتنفس ونـأكل ونـذهب إلى الحمام ونتنـاسل ونتثـاءب وننـام ونستيقظ ونبـذل كل مـا فى وسعنـا للعودة للـوراء نفزع من الدش ومن المرأة ونقبل أقـدام الغرب ليأتى للدفاع عنا ثم نشتمه ونشن عليـه حرباً شعواء لأنه جاء لمناقشة مشاكل سكان الأرض بصراحـة عندنا ، هل تعرف أننا



نكـاد نكـون الأمـة الوحيـدة فـوق الأرض التى تحارب الشيطـان علنـاً وتمارس كل طقوسه فى الخفاء ؟

ـ لاحظ أن الرجل لم يقل إننا أموات .. هو فقط يتساءل عن ..

ــ آه عن مـوعد إعـلان وفـاتنا .. صـدقنى يـا عزيـزى ، السبب فى الثورة الهوجـاء هو أنـه يتساءل عن مـوعد « الإعـلان » هذا هـو مربط الفـرس ، أقصد مـربط الكاديـلاك .. الإعـلان ، نحن ضد الإعـلان بكل أنواعه .. لا أحد يعلن ما يفكر فيه .. نحن فقط نعلن ما يفكر فيه أكابرنا وأسافلنا .

ـ وهل يفكر أسافلنا وأكابرنا فى نفس الشىء ؟

ــ أكابرنا عادة لا يفكرون ، فليست لـديهم الوسائل اللازمة لذلك ، ولكنهم ينصتـون بـاهتمام لما يطلبـه الأسافل فيعيـدون طـرحـه عليهم فيبدون وكأنهم يفكرون .

ــ كيف تقول : إننـا نكره الإعـلان ، مع أن صحافتنـا لا يوجـد بها سوى الإعلانات ؟

ــ لا تخلط بين الإعـلان الذى هـو التصريح ، والإعلانـات التى هى فن إخفاء رداءة السلعـة .. لقد ساهمت الإعـلانات فى المنطقة العـربية فى القضاء على الحرية والإبداع وروح المسئولية .. بذمتك هل تفكر فى كتابة صفحة مبـدعة ، أم تفكر فى الحصـول على عدة صفحات إعـلانات تعلن فيها عن شخص تحييه على إخلاصه ووفائه للقرن العاشر الميلادى ، أو تعلن فيها عن السياسة الحكيمة لدولة تخصصت فى مخاصمة الحكمة ، أو تحيى إنسانـاً وتهنئه فى مناسبـة سعيدة هى جلوسه على كرسـى ، كل فضله أنه استطاع الجلوس على كـرسـى ، مع أنى أجلس طول الوقت منذ حوالى أربعين عـامـاً على كـرسـى أكتب كلامـاً معظمه فـارغ ومع ذلك لم يفكر أحـد فى تهنئتى بإعلان واحـد .. العالم كلـه يحتفل بالبشر ، لأنهم يقفون على أقدامهم ويتحركـون ويمشون ويفعلون ، ونحن نحتفل بعيد جلوسهم على كرسـى .

ـ أنت تبتعد عن موضوعنا .. موضوعنا هو وفاة العرب .

— لأ .. الموضوع هـو الإعلان عن وفـاة العرب .. أريـدك أن تلاحظ أنه بنى الجملة للمجهول فلم يـوضح جهة الاختصاص فى هذا الإعلان ، ما هى الجهة المختصة بهذا الإعلان .. هل هى الجامعة العربية ؟

ـ مستحيل .. معنى ذلك إيقـاف صرف مـرتبـاتهم على الفـور وهى كبيرة كما تعلم .

— لعله يقصـد أمريكـا .. بوصفهـا المسئولـة الآن عن إدارة شئون الكرة الأرضية .

ـ أستبعد ذلك ، صحيح كل أموالنا موجودة عندهم ، ولكن الحصول عليها يتطلب صـدور حكم بإعلان وراثة لتحـديد الورثة ، هنـا ستظهر أوروبا ودول أخرى لتطالبها بنصيبها فى التركة ، صدقنى وفاة العرب ، وفاة طبيعية أو فى حادث سيترتب عليها خراب بيت الغرب كله .

— تقصد ضياع البترول .. البترول سيظل حياً بعد وفاة العرب .

ـ لأ .. أقصـد ضياع طـاقة الاستهلاك العـربية .. ستتـوقف مصانع السـلاح وكل الأشياء اللـذيذة والغـالية .. من سيشترى من الغـرب كل وسائل النعيم الأرضى بعد وفاة العـرب ؟ .. المشكلة عويصة كما ترى ، والشـاعـر خبيث جدا أوقع العـرب فى مأزق فـريـد .. ألقى عليهم عبء إثبات أنهم أحياء ، ياله من مأزق .

— البينـة على من ادعى .. لقد ادعى سيـادته أننـا أموات وعليـه أن يثبت ذلك .

ـ بـالعكس ، نحن الذين نـدعى أننا أحيـاء وعلينا تقديـم الدليل على ذلك.

— يا نهار أسود ، هذا أمر صعب للغاية ، بل يكاد يكون مستحيلا .

ـ هـو يعرف ذلك ، فقد تعمـد أقصى درجات الاستفـزاز الإبداعى ، وهى حيلة تقليـدية من حيل الإبداع يلجأ إليهـا الفنان عندمـا يجد أهله على وشك الاستغراق فى النـوم الأبدى .. هـو يريـد للعرب أن يكتشفـوا أنهم يعيشـون بين جـدران مقبرة كبيرة صنعـوهـا لأنفسـهم لتحميهم من الحرية والحياة والمسئولية ، هو ينبه إلى



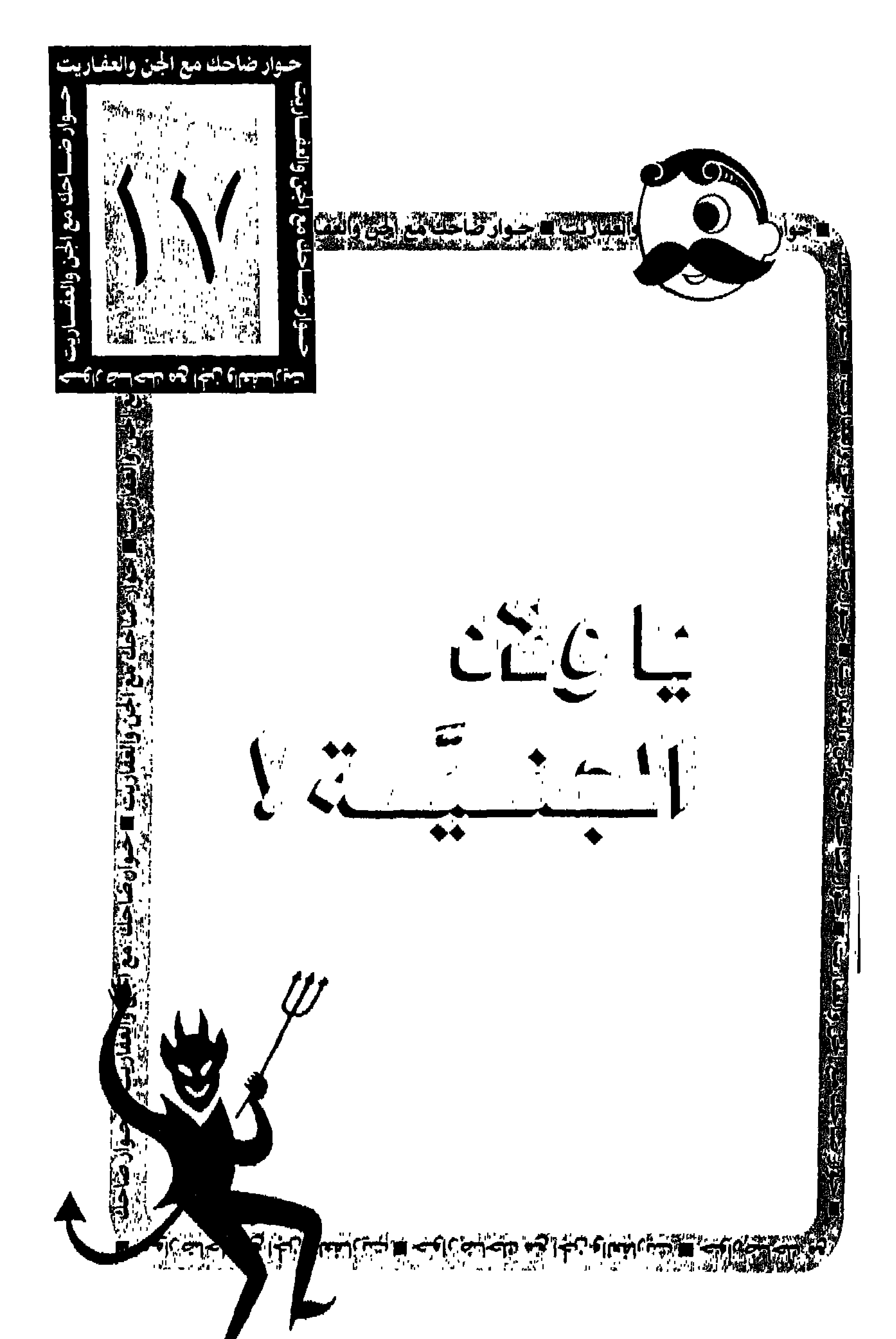
أن منطقتنا تحولت لقرافة كبيرة موسيقاها جنائزية ، وزينتها سعف النخيل ، وصوتها الوحيد هو الصمت ، وإيقاعها اللطم على الخدود وشق الجيوب حزنا وشق جيوب الآخرين لسرقتهم .. الرجل ينبهنا إلى أن منطقتنا على وشك أن تتحول بالفعل إلى قرافة كبيرة ينتعش فيها اللحادون والغسالون والحانوتية والتربية ، انظر إلى وجوهنا جميعا وأعلن رأيك ، اشهد بما تراه ، هل ترى وجها فرحا فى المنطقة العربية كلها ؟ .. من هو ؟ اعطنى اسمه وعنوانه فورا .. كيف تتصور بشرا على قيد الحياة لا يعرفون الفرحة . إذا كان نزار يتهم العرب بأنهم أموات فأنا اتهمهم بأنهم ليسوا فرحين .. ولن يشتمنى أحد فهم لا يعتبرونها إهانة ، بل إن الفرحة فى بلادنا بدعة ورجس من عمل الغرب ، الغرب فقط مسموح له بالفرحة فقد أنجز ما يجعله فرحا.. والآن اسمح لى أن أكون جادا فقد تعودت أن أكون جادا للحظات كل عدة أعوام .. طرح السؤال والضجة التى أحدثها تعنى أن عقولا كثيرة « هنا وهناك » تفكر بقوة فى هذا الموضوع ، سأذكر الجميع بجملة واحدة كانت شهيرة فى بداية القرن .. رجل أوروبا المريض .. هل تذكرون كيف اندفع العالم كله للحصول على نصيبه من التركة ؟والآن لنفرض أن الأمم المتحدة بمناسبة نهاية القرن العشرين عقدت امتحانا لأمم الأرض وجهت فيه سؤالا واحدا : ماذا قدمتم للجنس البشرى فى المائة عام الأخيرة ؟

— قدمنا .. قدمنا .. قدمنا .. المتنبى والحسن بن الهيثم .. وجابر بن حيان .. و ..

— نعم .. الجاحظ .. يا رجل أنا أكلمك عن المائة عام الأخيرة .. هذا هو السؤال الذى يجب أن ينشغل به العرب .. وعموما الموقف لا يدعو لليأس ، فمن حقنا دخول امتحان الدور الثانى فى نهاية المائة عام القادمة .. إذا كنا مازلنا على قيد الحياة .

- فى تصورك ماذا نستطيع أن نقدم فى المائة عام القادمة ؟

— قهوة ، شاى ، سحلب ، حاجة ساقعة ، أى حاجة .



يا غلان الجنيَّة!

تحقيق

أنـا ـ وكيـل نيابـة الضـحك والهـزار ـ تم فتح المحضر فى ساعة تاريخه مع المتهم وسألناه على النحو التالى : الاسم والمهنة والعنوان.

ـ عـادى معتاد المتعـود رئيس مجلس مـدينـة بلادة وأسكن بشارع البطل عبد ربه .

ـ منسـوب إليك أن ثـروتك قـد تضخمت بشكل غير عـادى حيث بلغت أكثر من الستين مليونـا بالرغم من أن مرتبك هو مـائتا جنيه فقط شهريا ، وأنك أثريت ثراء فاحشـا من التلاعب بأموال الدولة وأراضيها ، وأنك استغللـت وظيفتك فى جمع هـذه الملايين . وأنك مـارسـت ذلك لسنوات طويلة .

ـ اسمح لى أن أجيب على كل تهمـة على حـدة ، لكى أفنـد كل هـذه الاتهامـات : لم يحدث أننى استغللت وظيفتى مـن أجل التربح لسنـوات طـويلة ، هـذا الاتهام ليس موجهـا لى وحدى .. بل هـو موجـه أساسـا لأجهزة الـدولة والحكومة بأنها نـايمة على ودانها لسنوات طـويلة ، هل تتصـور أن أجهزة الـدولة والحكـومة تترك شخصـا يسرق أو يتربح أو يمارس الفساد ولسنوات طويلة ؟ هذا مستحيل يا سيدى المحقق .

ـ الواقع أنـه ليس مستحيلا يا سيـدى المتهم ، الواقع أن هـذا هـو الثمن المدفـوع من أجل الاستقـرار .. استقـرارك فى

وظيفتك .. فقد اتضح أن هناك الكثير من المسئولين استفادوا من كل أفعالك الفاسدة وساعدوك على الاستقرار كل هذه السنين .

ـ هل ستحققون معهم ؟

ــ أنا الذى أسألك ، لأننى أنا المحقق وليس أنت .. فاهم ؟

ــ فاهم يا سيدى ، ولكى اختصر لك الطريق وأوفر عليك الجهد والوقت ، هاتوا لجنة من العفاريت الزرق لتفحص كل أوراقى ومستنداتى ، فى النهاية ستجد أننى لم أخالف القوانين واللوائح والإجراءات المعمول بها ، نعم ، لقد حصلت على أراض ، وشواطىء ، وشقق وفيلات ولكن كل ذلك تم بشكل قانونى .

ــ نعم يا متهم ، هذا صحيح ، فقد أثبتت اللجان المشكلة لفحص أعمالك أنها لم تتضمن انتهاكا لأى قانون .. فأنت حاد الذكاء وخبير بالعمل الحكومى .. ولكنك لن تفلت هذه المرة .. حيث أنك مطالب الآن بأن تذكر لنا مصدر ثروتك المتضخمة .. كيف استطعت تكوين هذه الملايين من مرتبك ؟

ــ مرتبى يا سيدى ؟! إن مرتبى كنت أوزعه على السعاة قبل أن أغادر مكتبى أول الشهر ، أنت تعرف أن مرتبات الموظفين لا تصلح للحفاظ على الحد الأدنى للحياة . بدليل مرتبك أنت شخصيا ،هل يكفى يا سيدى المحقق ؟

ــ اخرس .. أنا أعمل من أجل مصر .. وأنا وزملائى نحصل على الفتات ونتعذب ونعانى الضنك ونقتل فى الشوارع من أجل أن تحيا أنت وأمثالك فى النعيم .. أنا آسف ، ليس مسموحا لى أن اشتمك .

ـ ولا يهمك ، هذه ليست شتيمة .. هذا إعلان للواقع .

ــ ما هو مصدر ثروتك المتضخمة ؟

ـ زوجتى يا سيدى .

ــ زوجتك ؟! تقول زوجتك يا رجل ؟ زوجتك طبقا للتحريات لم تكن تملك مليما واحدا عندما تزوجتك .. لقد دخلتما فى جميعة فى بداية حياتكما بعشرة جنيهات لتقبضا خمسمائة جنيه ، وأقمتما فى حجرة

واحـدة فوق السـطوح بحمام مشـترك مـع الجـيران .

ـ يالـدقة التحريات يـا سيدى .. نعم ، هذا ماحـدث بالضبط.. لست أتكلم عن زوجتى الأولى ، أنا أتكلم عن زوجتى الثانية .

— لم تذكر التحريات أنك متزوج من سيدة أخرى .

ـ لأنه زواج سرى يا سيدى ، ولا شرلـوك هولمز يستطيع اكتشافه .. حيث لا يعرفها أحد ولا يراها أحد ولم يرها أحد ولن يراها أحد .

— أنت متزوج من الهواء إذن ؟

ـ تقريبا يا سيدى ، أنا متزوج من إنسانة شفافة لا تراها العين .. أنا فقط الذى أراها .

— كف عن العبث لا داعى لاصطناع الجنون .. من هى زوجتك التى هى مصـدر ثـروتك المتضخمـة ؟ اذكـر الحقيقة بـوضـوح وإلا أمـرت بسجنك على الفور .

ـ ليس مسمـوحا لك أن تهددنى يـا سيدى ، فأنـا برىء إلى أن تثبت إدانتى ، لابد أنهم علموك فى كلية الحقوق أنه ليس من حقك تهديد المتهم .

— أنا وكيل نيـابة الضحك والهزار ، من حقى أن أفعل بك مـا أشاء لأننى لم أتعلم القانون فى كلية الحقـوق ، ولا فى أى مكان آخر ، المسألة بـاختصـار أنك وأمثـالك تسببون لى عجـزا عن إضحـاك النـاس وهى مهمتى التى آكل منها عيش وذلك بسبب جـو الغضب واليأس والتعاسة الذى يحيط بى من جراء أفعالكم ، لست أدافع عن مصر ولا عن أهلها ، أنـا أدافع عن مهنتى ومصدر رزقى ، أدافـع عن وجودى ، أنت وأمثـالك أفقـدتمونى فـرحتى الطبيعيـة بـالحياة .. ولقـد قـررت أن استرد هـذه الفرحة .. مهما كان الثمن .. اتفضل اتكلم .. من هى زوجتك الثانية التى تزعم أنها مصدر ثروتك المتضخمة .

اتكلم ..

ـ حاضر ، سأتكلم .

(ملحوظـة) هنا نظر المتهم يمينـا وقال بصـوت هامس :



حبيبتى أنا آسف ، أنا مضطر اتكلم .. لأ أرجوك .. لازم أتكلم وأنقذ نفسى ، لازم أدافع عن سمعتي وشرف .. إذا لم أقل الحقيقة فقد يتصورون أنني لص .. لابد أن أتكلم وأذكر لهم الحقيقة كاملة .. معلهش .. عشان خاطرى .

— مع من تتكلم يا متهم ؟

ـ مع زوجتى يا سيدى المحقق .

— هل زوجتك معنا هنا فى هذه الغرفة ؟

ـ نعم يا سيدى ، هى معنا الآن .. أنا متزوج من جنية ياسيدى .

— نعم !! ماذا تقول ؟ متزوج من جنية ؟

ـ نعم ، هى جنية من الجان الطيب .. واسمها شماهير وأدللها شوشو .

— لست أصدق هذا الكلام الفارغ .

ـ أنت إذن لا تصدق وجود الجان .. هذه مسألة خطيرة .

— طبع أصدق بوجود الجان .. هذه مسألة لاشك فيها.. ولكنى لا أصدق أن الجنيات يتزوجن من البشر .

ـ الحمد لله .. لقد أصبحت قريبا من البراءة .. القضية الآن أن أطلب سماع شهودى من العالمين والعارفين بهذه الأمور ليشهدوا أمامك بأن البشر أحيانا يتزوجون من الجنيات الطيبات ، وعموما يا سيدى المحقق ، ليس مهما أن تصدقنى ، المهم أن تتركنى أدلى بأقوالى ثم تستدعى الشهود بعد ذلك لتصل إلى الحقيقة .

— أفهم من ذلك أن زوجتك التى تزعم أنها جنية هى مصدر ثروتك التى تجاوزت الملايين ؟

ـ نعم يا سيدى ..

— هل أنت الوحيد المتزوج من جنية فى مصر ؟

ـ حسب معلوماتى يا سيدى ، هناك عدد كبير جدا من رؤساء مجالس المدن متزوجون من جنيات فى منطقة الغردقة بالذات ، فهذه المنطقة معروف علميا أنها مسكونة بالأرواح والأشباح والعفاريت

والجن الطيب والشرير بسبب كثرة الأجانب بها .

— حسنا ، كيف تعرفت بزوجتك الجنية شماهير ؟

ـ بعد تعييني فى منصبى رئيسا لمجلس المدينة بعدة أيام ، وبعد منتصف الليل بقليل ، كنت بين اليقظة والنوم عندما شعرت بمداعبات رقيقة ومنعشة من زوجتى .

— الجنية ؟

ـ لأ .. طبعا ، فلم أكن قد تعرفت بها ، أنا أقصد زوجتى الإنسية سميرة .. وفى الصباح اكتشفت أن زوجتى ليست بجوارى .. وتذكرت أنها مازالت مقيمة عند أهلها فى المنصورة ولم تنتقل بعد إلى المدينة التى عينت رئيسا لها .

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ تكرر الشىء نفسه فى الليلة التالية وفى نفس الموعد .. عند ذلك قلت لها : أرجوك قولى لى من أنت ؟ عند ذلك سمعت صوتا نسائيا جميلا يقول : أعطنى الأمان أيها الإنسى الحلو الجميل .. أعطنى الأمان يا أكثر رؤساء مجالس المدن جمالا وذكاء وفحولة .. فقلت لها : إظهر وبان عليك الأمان .. إذا كنت من الأنس فيا مرحبا بليالى الأنس .. وإذ كنت من الجن ، فأظهرى حيث أننا نحن المصريين رؤساء مجالس المدن لا نخشى العفاريت والجان .. وهنا تجسدت أمامى .. حسناء جميلة .. بل قد تكون أجمل امرأة على ظهر الأرض وقالت لى : شبيك لبيك عبدتك وجاريتك بين إديك .

فشعرت بالرعب وسألتها هامسا : عاوزه منى إيه ؟

ـ أتجوزك .

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ أنا بالطبع كأى زوج أخشى زوجتى ، فلما أخبرتها بذلك قالت لى : إنه ولا مخلوق على الأرض سيتمكن من رؤيتها أو الإحساس بوجودها .. وأن طلباتها منى ستكون بسيطة للغاية ، أن أتفرغ لها لمدة ساعتين فقط يوميا فى أى مكان به حصيرة أو



كليم أو سجادة أو كنبة .. وأنها فى المقابل ستجعلنى أسعد مخلوق على الأرض وستأتينى بكل ما اشتهى فى الحياة ، أموال ، عقارات ، أراض زراعية ، شاطىء خاص ، سلطة ، نفوذ ، أسهم ، سندات ، حسابات علنية وسرية .. إلخ ، بعد أن وافقت على الزواج منها طلبت منى أن أطلب يدها من أهلها .

— تقصد أهلها من الجن ؟

ـ طبعا يا سيادة المحقق .. أم أنك تعتقد أنها جنية متشردة لا أصل لها ؟!

— العفو ، اتفضل ، أكمل .

ـ نزلت بى إلى عالم الجن .

— كيف حدث هذا ؟ هل ذهبت إلى هناك بوسيلة من وسائل المواصلات المعروفة ؟

ـ الواقع أنه حدث لى شىء غريب يا سيدى المحقق ، فجأة أخذتنى من يدى وخرجت بى من نافذة العمارة التى أسكنها فى الدور السابع .. وجدت نفسى أسبح فى الهواء ، أطير معها فوق غابات وجبال وأنهار ومحيطات ، ثم نزلت بى إلى فوهة بركان خامد ، وجدت نفسى اخترق طبقات الأرض دون أن يمسنى سوء ، وفى النهاية وصلنا إلى مدينة أشبه بمدن الدانمارك أو السويد ، حدائق ، طرق واسعة ، بشر يتحركون بهدوء وكبرياء .

— تقول بشر ؟

ـ نعم ، كانوا على هيئة بشر ، بصراحة ، كنت أتصور أننى سأرى مخلوقات لها تقاطيع مختلفة ولكنى فوجئت أنهم يشبهون البشر فى كل شىء ، بل ويستخدمون كل ما نستخدمه نحن ، طائرات ، سيارات ، مستشفيات ، إلخ .. ولكنى فشلت فى العثور على كوم زبالة واحد ، كما فشلت فى سماع صوت كلاكس سيارة .

— ما هى اللغة التى يتكلمونها ؟

ـ هم يتكلمون كل اللغات يا سيدى .. ولكنهم يستخدمون مع البشر

من أمثـالى اللغةالتى يتكلمونها .. أخـذتنى فى سيارة ليمـوزين إلى الحى الذى يقطنـه أهلها ، وهنـاك قابلت والـدها وأمهـا وأعمامها فـرحبوا بى وأحاطونى بجو دافىء جميل ، وقـالوا لى : إنه ليشرفهم أن تتزوج ابنتهم شماهير من رئيس مجلس مـدينــة تـابع لعـالم الإنس ، واشترطـوا أن تحتفظ هى بالعصمـة فى يدها ، عقدت قـرانى عليها فى حفل كبير حضره عدد كبير من.. من .. من ..

(ملحوظـة) هنا تردد المتهم ، وبدا عليـه أنه يريـد أن يخفى شيئا ، فضغطنا عليه وسألناه بصرامة :

ــ تكلم يـا متهـم ، من حضر قـرانك ؟ لا تخفى شيئـا ، اذكـر كل التفاصيل لكى أصدق أن زوجتك الجنية هى مصدر ثروتك المتضخمة .

ـ حسنـا ، سأتكلم ، فـوجئت يا سيـدى لدهشتى الكبيرة بمجموعة كبيرة من المسئولين يحضرون حفـل زواجى ، وزراء ، وكـلاء وزراء ، محافظون ، رؤساء مجالس مدن ، رؤساء هيئات ، كلهم مصريون .

ــ ماذا ؟ هل كلهم من الجان المتنكر فى هيئة مسئولين ؟

ــ لا يـا سيـدى .. هم من الإنس .. ولكنهم جميعـا متـزوجـون من جنيات ، وعدد كبير منهم أنجب أولادا من الجن.

ــ هل أنت متأكد يـا متهم مما تقول ؟ أم أن خيـالك المريض صور لك ذلك الـوهـم .. أليس مـن الجائز أن أقـارب زوجتك من الجان الـذين حضروا الحفل كانوا متنكرين فى هيئة مسئولين رسميين ومواطنين ؟

ــ تصورت ذلك فى البـدايـة يا سيـدى ، ولكنهم ضـحكـوا منى كثيرا عندمـا قلت لهم ذلك وقـالوا لى ببساطـة : لماذا تتصور أنك أنـت وحدك المتزوج من جنية ؟ نحن جميعا مثلك ، والدليل على ذلك أن لهم رابطة أو اتحاد أو نقـابـة ، بعـد زواجى من شـوشـو مـلأت استمارة وأصبحت عضوا فى هذا الاتحاد واسمه جماعة البشر الجن .

(ملحوظة) المتهم كان يتكلم بصدق شديد ، وأنا شخصيا أصدق ما يقـول ، بل إن ما يقولـه فسر لى ألغازا كثيرة ، هناك بشر فى مناصب كبيرة يفتقرون إلى أى قـدر من الكفاءة ، ومن



المستحيل تفسير وجودهم فى أماكنهم إلا بأنهم تلقوا مساعدة من الجن .. كما أن هناك أشخاصا كثيرين يعيشون فى مستوى مادى واجتماعى من المستحيل أن توفره لهم أى وظيفة أو عمل أو تجارة ، من المحتم أن الجن قد ساعدوهم على الوصول إلى ماهم فيه من عز ونغنغة .. كما أن بعض البلهاء الذين يحتلون ولسنوات طويلة مناصب تتطلب الذكاء ، من الطبيعى أن الجن هو الذى أوصلهم لهذه المناصب .. (انتهت الملحوظة) .

وعدنا نسأله : ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ هل تعرف السعادة يا سيدى المحقق ؟

— للأسف لم أتشرف بمعرفتها بعد .

ـ تلك السعادة يا سيدى التى يبحث عنها الشعراء والمتعبون ، عشتها أنا ، يا شوشو ، هاتى لى فلوس ، شوشو.. هاتى لى أرض ، شوشو .. هاتى لى منصب رفيع .. هذا هو باختصار شديد ياسيدى المحقق سبب ما تسميه ثروتى المتضخمة .

— هل مازالت على ذمتك .. أو هل مازلت على ذمتها ؟

ـ نعم يا سيدى ، وهى موجودة معنا الآن فى هذه الغرفة .. وأرجو ألا تغضبها .

(ملحوظة) شعرت بالرعب ولكنى تماسكت وحرصت على أن أبدو صارما . (انتهت الملحوظة) .

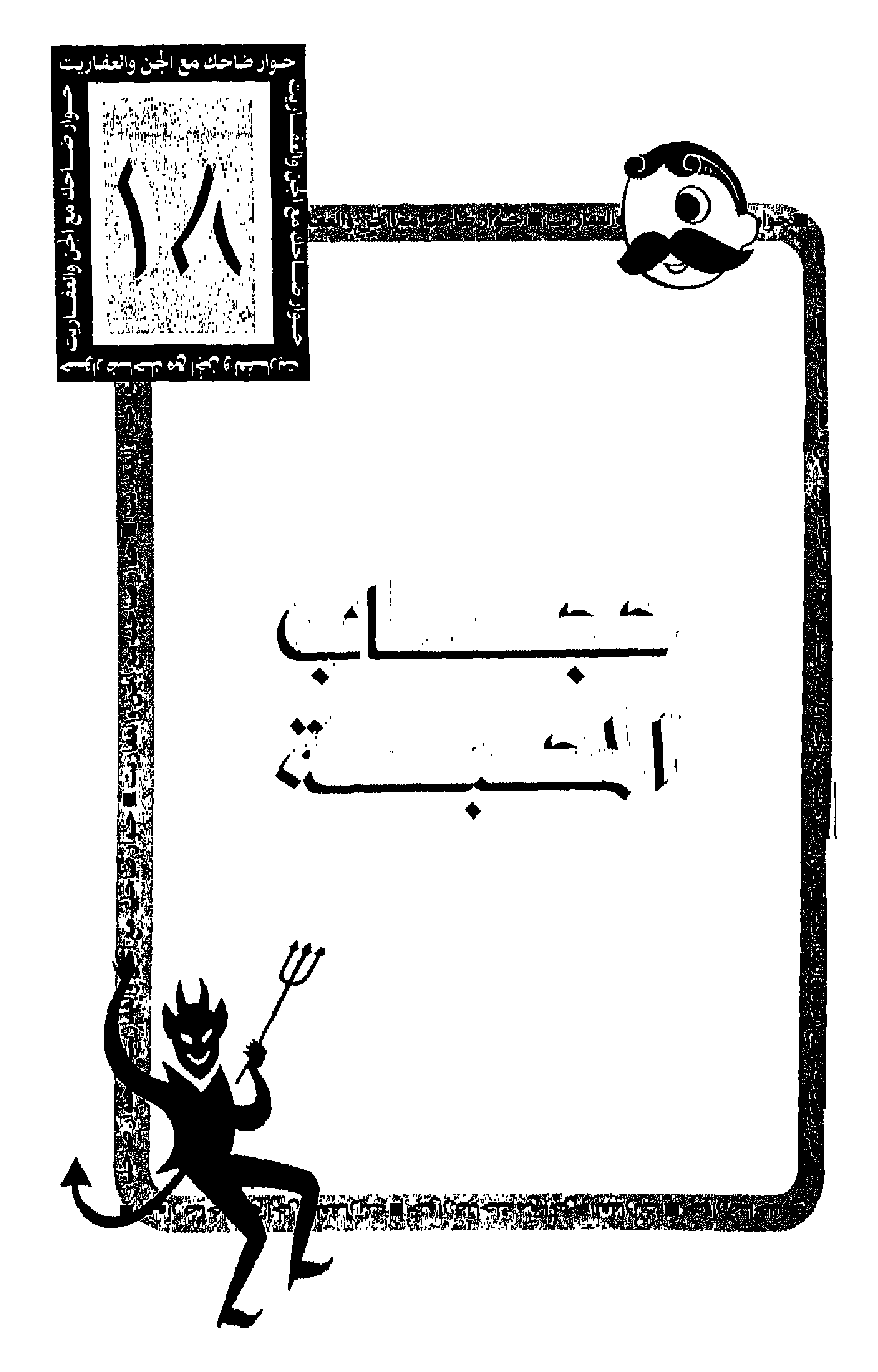
— ولكنك يا متهم لست ذكيا وسيما ، ولست مثقفا ولم تقرأ كتابا فى حياتك ، ولم يعرف عنك أنك من النماذج الراقية ، ومستوى ذكائك منخفض للغاية ، لماذا تزوجتك هذه الجنية الجميلة التى يبدو أنها من أسرة كريمة ؟

(ملحوظة) هنا حدث شىء غريب فى غرفة التحقيق ، فجأة شعرت ببرودة شديدة ، خفتت الإضاءة وسمعت صوتا أنثويا جميلا يقول : أنا شماهير يا سيدى المحقق ، اسمح لى أن أتجسد لك صوتا فقط ، فليس مسموحا لى أن أتجسد أمامك صوتا وصورة ، أصحاب العقول والقلوب

الكبيرة يريدون الراحة لهم ولكل الناس ، وهذا مطلب عسير علينا أن نحققه لهم ، وهم يفكرون فى أن الحياة يجب أن تكون مثمرة وجميلة وعادلة ، ووسيلتهم لذلك عقول البشر وسواعدهم ، هم ليسوا فى حاجة للزواج من جنيات لأنهم يرفضون الاستمتاع بما حرم منه الآخرون .. إذا تزوجتك أنت ، لن تطلب منى الأشياء السهلة التى طلبها زوجى العزيز ، لن تطلب المال ، لن تطلب العقارات ستطلب منى أن أدفع بالحب فى قلوب البشر وأملأ أفئدتهم بالعدل ، واملأ عقولهم بالعلم والذكاء ، وأنا وأهلى عاجزون عن فعل ذلك ، فهذه هى مسئولية البشر ، هذه هى الأمانة التى خلقهم الله سبحانه وتعالى قادرين على تحملها ، لذلك ترانا نتزوج من الجهلة ، الأغبياء والبلهاء ، الطماعين ، سيئى التربية ، لأننا قادرون على إسعادهم وإجابة مطالبهم . عفوا يا زوجى العزيز.. أنت طالق طالق طالق بالثلاثة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهنا صرخ المتهم صرخة هائلة اهتزت لها جدران الغرفة وسقط مغشيا عليه ، وعاد الجو فى الغرفة إلى ماكان عليه من دفء ، وعادت الإضاءة كما كانت ، فعرفنا أن شماهير قد انصرفت (انتهت الملحوظة) .

وعليه .. قررنا نحن وكيل نيابة الضحك والهزار الإفراج عن المتهم من سراى النيابة بلا ضمان أو كفالة بعد أن تأكدنا من مشروعية مصادر ثروته التى كنا نظنها متضخمة .



حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
١٢٨
حجاب
المحبة

أنْـــتَـ ـرُثْ

أنها المرة الأولى في حياتي التي أسمع فيها عن نصاب عراقي يقوم بعملية نصب مبدعة ، وهذاتطور مهم جدير بالدراسة والرصد ، فحتى النصب الذي كنا *أساتذته انتقلت مقاليده لشعوب أخرى .. الخبر كما هو منشور يقول : إن « نصابا عراقيا أوهم شخصا من بلد عربي شقيق بأنه قادر على كشف الغيب وقراءة المستقبل وإزالة أسباب الغم والنكد من حياته وجذب النساء إليه ، وذلك في مقابل ٦٤ ألف دولار تدفع على ثلاث دفعات ، الدفعة الأولى ١٤ ألف دولار ، ودفعهاالمجني عليه فعلا في أول جلسة « استشفاء » على حد قول محرر الخبر » .

المهم أن الصحيفة أوردت اسم الضحية بالكامل والبلد الذي ينتمي إليه ، كما أوردت اسم مساعد النصاب وهو ضحية سابق له ، ولكنها أغفلت ذكر اسم النصاب ، احتراماً لقاعدة أن المتهم بريء إلى أن تثبت إدانته ، لم تشر إليه حتى ولا بالحروف الأولى في الغالب احتراماً وتقديراً لعبقريته ، غير أنها ذكرت اسم شهرته وهو « هاشم » .

سنكتفي بتسمية الضحية الأخ العسيري ، أما مساعد النصاب فهو الأخ العمري . وقبل أن أمضي في تحليلي للواقعة أعلن للقارئ بوضوح : أنني لست أرى جريمة فيما حدث . إنه اتفاق حر تم بلا ضغوط .. عقد والعقد شريعة المتعاقدين .

الرجل العراقي تعهد بأن يكشف الغيب ويقرأ المستقبل



للأخ العسيرى ، فهل أخل بذلك ؟ وهل جاء المستقبل على نحو مغاير لما تنبأ به حتى نتهمه بالنصب ؟

وعندما تعهد بإزالة أسباب الغم والنكد من حياة الزبون : هل فشل فى ذلك ؟ وهل الفشل راجع له أم لعيب فى الزبون ؟ لنفرض أنك ذهبت لمشاهدة مسرحية فكاهية وفشلت هذه المسرحية فى إزالة أسباب غمك ونكدك .. هل تتهم العاملين بأنهم نصابون ؟ أم أن العيب قد يكون أن سيادتك شخص نكدى بطبعك ، غم بطبيعتك ؟

إننى أعترف أننى أشعر بتقدير كبير لذلك المواطن العراقى لأسباب مهنية بحتة، بل وأشعر ـ لأول مرة فى حياتى ـ بالضآلة والانسحاق أمام مخلوق ، فمهنتى الفكاهة، مهنتى أن أزيل أسباب الغم والنكد من حياة الناس، ومع ذلك فشلت فى استخراج دولار واحد من أى مخلوق بينما نجح ذلك الرجل فى الحصول كدفعة أولى على ١٤ ألف دولار فى أول لقاء مع الضحية بعد وعده بإزالة أسباب غمه ونكده ، ترى كم كان سيطلب لإزالة الغم والنكد من حياة سكان المنطقة العربية؟

عندما تقرأ الأسماء والرتب من رجال الشرطة التى تابعت هذا الموضوع تشعر بالذهول، قدم الأخ العسيرى بلاغا بالواقعة للواء أحمد همام مساعد وزير الداخلية ومدير شرطة السياحة فأحيل البلاغ إلى العميد عصمت البنا رئيس مباحث السياحة الذى أمر بتكوين فريق بحث بقيادة أشرف حجازى رئيس مباحث النصب (تصور، عندنا مباحث نصب فى السياحة وليس عندنا سياحة) ! وهنا قام العقيد سامى عتيق بعمل التحريات التى أثبتت صحة الواقعة. التحريات تقول : إن المتهم يقوم بتمتمة عبارات غير مفهومة ثم يكتب عدة عبارات بحبر أحمر ثم يضعها فى كوب ماء ويطلب من الضحية أن تشربها بعد دفع المبلغ المطلوب.

هذه هى الخطوط السريعة التى نرسم بها الواقعة قبل أن نمضى فى دراسة الأبعاد السيكولوجية والاجتماعية والسياسية للحادث ، غير أننى أنبه أنه من السذاجة أن نتصور أن النصاب العراقى قال للضحية: أنا

أستطيع أن أجعلك دون جـوان، وأن أتنبأ لك بـالمستقبل ، وأن أحـول حياتـك لنعيم وراحة بال فى مقـابل ٦٤ ألف دولار تدفـع منها الآن ١٤ ألف دولار.

وهنا قالت الضحية: .. موافق .. اتفضل . آدى ١٤ ألف دولار.

لو كان الأمر قد تم بهذه السهولـة لعملنا جميعا نصابين . الواقع أن الأخ هاشـم العراقى رسم خطـة مبدعـة ومقنعة وبـذل مجهودا خـرافيا يستحق من أجله المبلـغ المقبوض، بل وأكثر. وهنـا ننبه إلى أنـه لو طلب مبلغـا أقل من ذلك لما اقتنعت الضحيـة.. هل تصـدق شخصـا يقـرأ لك المسـتقبل ويحولك لشخص سـاحر جـذاب للنساء بخمسة جنيهـات ؟ طبعا ـ لأ .

لا شك أن الأخ هـاشم العـراقى ـــ كأى نصـاب عبقرى ـــ متمـرس دارس للنفس البشريـة يعرف حـدود وسقف المبلغ الذى يجب أن يطلبـه من الزبـون، لقد أدرك بفراستـه أن هذا الشـخص فى أعمق أعماقه يـريد التخلص من فلوسه لعدم رضـائه عن مصدرها، من المستحيل أن يكون الجهـد البشرى الطبيعى مصـدر ثـروته، من المؤكـد أنـه حصل عليهـا بسهولـة، نفس السهولة التى دفعهـا بها، هناك شعور بـالذنب فى أعمق أعماقه يدفعه بلا وعى للتخلص منها.

كما أن النصـاب العراقى يـدرك أن موروثـات العقل البدائى القـديم مـازالت بـاقيـة وفعـالـة فى العقل المعـاصر ، كلنـا نطلب حب الآخـرين وتقـديرهم لما نعتقـد أنـه سيعود علينـا بـالحب والتقديـر، ولكن العقل البدائى لا يفكـر فى الفعل، بل يختصر المسافات ويقفز فـوق كل الأفعال ويطلب شيئـا يحتل مكانـا مهما فى التراث الشعبى القـديم وهو حجـاب المحبة.

ليس مطلـوبا منـه أن يقدم إنجازا أو فعـلا ما للحصـول على حبهم، لأنـه أصـلا لا يعترف بـوجود الآخـرين. هـو فى حـاجـة فقط للأنثى. هذا بـالضبط ما كان يطلبه جده فى الغـابة، ولكن جده كـان يحصل عليهـا بالقـوة ، بينما هـو عاجـز عن ذلك، هنـا

تتحـــــول القوة العضلية إلى قوة سحرية. هى حجاب المحبة، الطلاسم المكتوبة على الحجاب هى نفسها العضـلات القديمة، وهى قادرة على أن تأتى لـه بـالأنثى صاغـرة، هنـا سيدفع صـاحب العقل البـدائى المبلغ المطلوب وأى مبلغ مطلوب.

العقل البـدائى لا يربط السبب بـالنتيجة، بل لا يـرى أصلا أسبـابا ونتـائج، لا توجـد عنده أسبـاب للحب والكـراهية، أو للتخلف أو للفقـر والثراء أو لأى شـىء آخر. الأشياء تحدث لأننا نريدها أن تحدث أو لأنها هى ذاتها تريد الحدوث.

عندما تتشاجر معك زوجتك وتحول حياتك لجحيم فلا توجد أسباب لـذلك، ولكن لابد أن هنـاك عملا معمـولا لكما، أنت تريـد من فلانـة أن تحبك، لابد إذن أن تـذهب لأخصائى يعمل لك حجـاب محبة يـوقعها فى دبـاديبك. زوجك سيتزوج عليك مـن أخرى، لاداعى للبحث عن أسبـاب واقعية أدت لهذه النتيجة، السبب الوحيد المعقـول هو : أن إنسانة أخرى عملت له عملا ليحبهـا، ابحثى أنت أيضا عن حجاب محبة يفـوقه كفاءة لتنتصرى عليها، إن ما يحدث على الأرض ليس إلا نتائج لصراع الأحجبة.

هكذا ينطلق صاحب العقل البـدائى بين الدجالين والنصابين، يشترى حجابا من هنا بألف دولار ، ومن هنـاك بثلاثة آلاف دولار ، وفى النهاية يكتشـف أنه ولا واحـدة خرت صريعـة تحت قدميـه أو ألقت بنفسها على صدره عندما شاهدت طلعته البهية، عندئذ لن يساوره الشك فى الحجاب نفسـه ولكنـه سيعتقـد أنـه اشترى واحـدا من النـوع الـرخيص ينتهى مفعوله بسرعة، أو لعله كان مخزونا وانتهت مدة صلاحيته.

هنا يعقـد العزم على البحث عـن أخصائى يبيع أحجبـة محبة غـالية الثمن، إنها نفس نظرية الـدواء فى الزمن القديم، كلما كان مـرا كان أقدر على تحقيق الشفـاء. هذا هـو مـا فهمه الأخ هـاشم العـراقى بفراستـه، بمجرد النظـرة الأولى للضحية، هـذا الزبـون طاف بنصـابين كثيرين فى حيـاته، ولاشك أنـه دفع لكل منهم مبـالغ متنـوعـة، هنا لابـد من كسر حاجـز الرقم لإقناعه، بجـودة الصنف ، فجودة الأشياء تتناسب طـرديا

مع سعرها، عندمـا تحصل على حجاب ثمنه ٦٤ ألف دولار ، فمن المؤكد أنك ستكون محبوبا من كل نساء العالم. تكفى نظرة واحدة من سيادتك لكعبلة أى حسناء تسير على بعد عدة كيلو مترات.

نأتى الآن لدراسـة الرقم نفسـه، لماذا لم يكن ٦٥ مثلا، أو سبعين أو ثمانين؟! الواقع أن عبقـرية الأخ هاشم العراقى تتضح فى اختيـار الرقم، إن تأثير رقم ٤ يثير فى اللاوعى أربـع سيدات ، أما الـرقم «ستين» أيضا فهو يوحى بالضياع، وهذا واضح من المصطلح الشعبى، «روح فى ستين داهية» الضحية هنـا تريد عامدة بالـلاوعى أن تتحول لضحية، وتبحث عن شخص يحقق لها ذلك، يعنى «يـوديها فى داهية».. والأخ هـاشم على وعى بذلك.

●●●

من خـلال محاضر التحقيق فى الشرطـة والنيـابة نستطيع صيـاغـة ماحدث فى اللقاء الأول. دار الحوار التالى بين النصاب والضحية :

هاشم : هناك حسناء خمرية اللـون، لها ابتسامة فاتنة، وغمازتان فى الخدين وشـامة سوداء فى أسفـل الذقن، وهنـاك حسناء سمـراء رشيقة ذات جسم ريـاضى، وحسناء أخـرى بيضـاء نحيلـة، كلهن سيلتقين بك ويقعن فى حبك..

العسيرى : متى ؟

هـاشم : بعد نقطتين ، قـد يحدث ذلك بعـد ساعتين.. أو يـومين.. أو اسبوعين.

العسيرى : أو بعد شهرين .. أو بعد سنتين .. أو بعد قرنين !

هاشم : هل تظنني نصابا ؟!.. أو أننى سأعطيك حجابا للمحبة بطىء المفعول لهذه الـدرجة ؟.. إن لدى حجابـا للمحبة يتحقق مفعولـه فى عدة دقـائق، ولكن ثمنـــه مـرتفع جـدا.. حـوالى ربـع مليـون دولار.. وهـو مخصص للحالات المستعجلة فقط.. أما الحجاب الذى سأعطيه لك فهو مؤكـد المفعول فى ظرف اسبوعين على أكثـر تقدير . لن آخـذ منك مايما واحدا الآن، بعـد أن تظهر الحسنـاء الأولى فى



حياتك.. وبعد أن تقع فى حبك، تعال فورا وادفع القسط الأول وهو ١٤ ألف دولار. إذا لم تفعل ذلك، أو إذا تباطأت فى الدفع، سينقلب الحجاب عليك ويتحول تلقائيا إلى حجاب للكره والبغضاء.. كل من تقابلك من النساء ستحتقرك بشدة وتكرهك كراهية التحريم.. ستفاجأ بنساء كثيرات فى الشارع يخلعن الشبشب أو الحذاء وينهلن عليك ضربا.

العسيرى : ياساتر..

هاشم : نعم .. هذا هو ما سيحدث لك إذا خنت اتفاقنا.

●●●

عاد الأخ العسيرى إلى منزله، فحلق ذقنه وأخذ حماما ساخنا وتعطر وتطيب. كان يستعد لاستقبال الحسناء الأولى التى ستظهر حتما. وضع الحجاب فى سلسلة ذهبية وضعها حول رقبته وأخفى الحجاب تحت القميص. فى تلك اللحظة رن جرس التليفون فرفع السماعة : آلو.

وهنا استمع لصوت أنثوى ناعم : آلو .. إدينى رئيس مجلس الإدارة من فضلك.

— حضرتك طالبة مين يافندم ؟

— طالبة مين ؟!.. هىء .. هىء .. طالباكم .

هزته الضحكة من الأعماق ، زلزلت كيانه، غير أنه تماسك وتكلم معها بطريقة جادة! واضح إن النمرة غلط.. هنا بيت.

— بيت ؟! .. هيىء .. هىء .. هىء .. انتم عملتوها بيت ؟

— حضرتك طالبة نمرة كام ؟

اكتسب صوتها رنة جادة وقالت له الرقم : الرقم قريب من رقم تليفونى .. ولكنه ليس هو.. تحول صوتها فجأة للوقار وإن لم تفارقه العذوبة : أنا آسفة جدا .. حقيقى أنا آسفة للإزعاج ..

— يافندم مفيش إزعاج ، ولا حاجة ..

— واضح إن حضرتك مهذب جدا .. وصوتك شبه صوت أحمد زكى الممثل .. حضرتك أحمد زكى.؟

— لأ ..

— ولا شبهه ؟

— ولا شبهه ..؟

— أمال شبه مين ؟ متهيأ لى إنك شبه مايكل جاكسون..

— بالظبط بيننا صفات كثيرة مشتركة .. بس حوالى ثلاثين سنة..

هنا كان الأخ العيسوى قد تأكد تماما بأن مفعول الحجاب قد بدأ يعمل فعلا، هذه هى الحسناء الأولى، ولكن عليه أن يتأكد أن الأمر ليس صدفة فقال لها: وحضرتك شبه مين؟

ردت عليه فى أنوثة : مش حاقول لك .. حاول تعرف من صوتى ..

قال لها بثقة : أنت جميلة وممتلئة قليلا، وعندك شامة أسفل الذقن على اليمين وغمازتان على الخدين .. وابتسامتك جميلة..

شهقت السيدة وكادت تصرخ : مستحيل .. مش معقول .. كيف عرفت كل ذلك ؟ .. هذه هى مواصفاتى فعلا ..

رد بتواضع : إنه علم الفراسة الصوتى ، من خلال الصوت فقط أستطيع التعرف على ملامح أى مخلوق .

ردت عليه بصوت مرتجف : أنا معاك .. بس حقيقى بدأت أخاف منك ..

— بالعكس .. لما حاتشوفينى ، حاتعرف إنى راجل طيب قوى ..

* باين من صوتك فعلا إنك طيب قوى .. وابن حلال .. بس واضح إن تأثيرك على الستات فظيع .. دا أنا باترعش دلوقت .. قل لى حاجة تهدينى .

— إهدئى ..

* ياسلام صوتك فيه رجولة وإنسانية .. تسمح لى أقفل السكة..

— ليه أنا ضايقتك .. ؟

* لأ .. أنت خوفتنى ..

— حاتكلمينى تانى ؟

* لأ ياخويا .. ولو إنى نفسى أشوفك ..

— ماشى ..





* بشرط أشوفك مرة واحدة .. لو أشوفك مرتين حاحبك ومش حاعرف أبعد عنك .. وأنا بصراحة مش عاوزة أحب .. أرجوك .. ساعدنى على إنى أقاوم حبك.

— مش حاتعرفى تقاومى حبى .. ما حدش عرف قبل كده ..

* ياه .. دا انت شديد قوى .

— أبدا بس فيه حاجة عندى شديدة قوى ..

— هىء .. هىء .. حاجة إيه يالعبى ياخبيث ياشرير ؟!

— إنت وراكى إيه دلوقت .. ؟!

— ولا حاجة .. حاروح للكوافير .. وبعد كده فاضية .

— خلاص نتقابل بعد الكوافير .. كمان ساعتين فى كازينو المحبة على النيل .

— مش عارفة أقول لك إيه .. حاسة إن فيه حاجة بتشدنى ليك .. زى ما يكون معمول لى عمل .. أوع تكون من اللى بيسحروا .

— لا والله ، ده أنا راجل غلبان قوى ..

— خلاص ياسيدى .. نتقابل بعد ساعتين .. بس هى المرة دى وبس.. مش حانتقابل تانى ..

— حاضر ..

●●●

تقابلا فى الكازينو ، كانت بنفس المواصفات فعلا ، أمسك بأطراف أصابعها اللدنة ، نظرت له فى وله ، ياله من حجاب قوى ، لم تحدثه أنثى من قبل بهذه العذوبة ، فى نهاية الجلسة ترقرقت الدموع فى عينيها وهمست فى ألم : مش عاوزه أروح .. هو ده اللى كنت خايفة منه .. تانى.. ؟! حارجع للحب تانى ؟! للحيرة والعذاب ؟!

ولكنه عاهدها أنه لن يسبب لها حيرة ولا عذابا من أى نوع .. تواعدا على اللقاء فى اليوم الثانى ، أعطته أرقام التليفونات ، الشقة ومكتبها والسيارة .. ده إيه ده ؟.. وغنية كمان ؟.. دا إيه الهنا ده ..؟!

أوصلها لسيارتها الفولفو الجديدة ، فتح لها السائق ـ الذى يرتدى

بدلـة صفراء ـــ الباب وهو ينحنى بأدب . قـالت للعسيرى وهى تضغط على كفه مـودعة : عندى اجتماع مع المديرين بتـوعى ... لولا ذلك لبقيت معك حتى الصبح.

يـاللسيدة المسكينـة ، لقـد استولى عليهـا جنـون الحب .. « يالقـوة مفعول الحجاب» انصرفت السيدة وهى تشير لـه مودعة حتى غابت عن عينيه ، فى نفس اللحظة كـان الأخ العمرى مساعد النصـاب العراقى يمر بالصـدفة ، فحيـاه وقال لـه : إذا كان الحجـاب قد بـدأ يعمل فعليك أن تذهب فـورا للأخ هـاشم وتدفع لـه ١٤ ألف دولار .. أنصحك ألا تنتظر حتى الصباح خشية أن يحدث لك ما لا يحمـد عقباه .. فذهب على الفور وأعطى المبلغ لهاشم .

فى اليوم التـالى طلب السيدة بالتليفـون فى البيت والمكتب والسيارة .. قـالوا لـه إنها سافـرت إلى لندن سفـريـة مفاجئـة ولن تعود قبل ستـة شهور.. فذهب للأخ هاشم غـاضبا ، هناك عطل فى الحجاب ، لقد انتهى مفعوله بعد عدة ساعات .

طلب منه هاشم أن يخلع الحجاب ويريـه له فقد يكون العطل بسيطا يصلحـه لـه فى لحظـة .. خلع الحجاب . وهنـا صـاح هـاشم فى ذهـول وغضب : يـانهار اسود .. انت حـاطط الحجاب فى سلسلـة ذهب .. لازم يتحط فى خيط عادى .. كده بوظت الشغل ؟!.. اتفضل اقرأ مكتوب إيه فى النشرة اللى مع الحجاب .. لا يستخدم بسلسلة دهب ..

استولت على الأخ العسيرى حالة من التعـاسة لا حد لها ، لقد تسبب بإهماله وجهله فى ضياع حسنـاء لا يجود الزمان بمثلها إلا فى الأحلام .. لا يجب أن يـرتكب أى خطأ فى استخـدام الحجـاب مع الحسنـاوين القادمتين ..

●●●

قبل أن نمضى فى دراستنا نطـرح سؤالا : هل حجـاب المحبة يصلح للتأثير على النسـاء والرجـال فقط فى مجالات الحب والغرام والعشق والهيـام وحدهـا ، أم أن مفعولـه يتعدى ذلك لمجالات أخرى ؟



بالـرغم من قلة المراجع المتـاحة لنـا وندرتها . نستطيع أن نـؤكد أن حجـاب المحبـة أثبت فـاعليـة هائلـة فى مجالات السيـاسـة والاقتصـاد والزراعـة والتجارة والبحث العلمى ، وهناك من الـدلائل ما يشير إلى أن بعض رجـال السيـاسـة فى المنطقـة استطـاعـوا الحصـول على حب معارضيهم بل وأعدائهم بارتداء هذا الحجاب .

وفى مجال الاقتصـاد هناك واقعـة مشهـورة عن أحد رجـال الأعمال البـارزين لوحظ أنـه يحصل بسهـولـة من المسئولين على كل الموافقـات اللازمـة لمشاريعـه بمجرد ارتداء هـذا الحجاب عنـد لقائه بهم . كما ان موظفـا يحتل منصبا رفيعا أثرى ثـراء فاحشا ، وكـان يظن أنه يحصل من المتعاملين معه على رشاوى ، غير أنـه اتضح لنا من خلال البحث أن الناس كانت تحبه حبا جما وتهديه الأمـوال الطائلة بسبب حجاب المحبة الذى كان يرتديه ، وعندما فصل من وظيفته بكى المتعاملون معه لفراقه بكاء مرا . ويشاع أيضا أن هذا الحجـاب يستخدم فى السياسة الخارجية فعنـدما تـرتـديه وتفـاوض عـدوك فـإنه يحبك على الفـور ويسلم بكل طلباتك .

وهناك أقاويل عن أحد زعماء المنطقة قابل السيـدة تاتشر مرتديا هذا الحجـاب فأحبتـه ومنحتـه هـو وبـلاده قـروضـا ومنحـا كبيرة ولكن المخابـرات الانجليزية تمكنت فى آخـر لحظة من افساد مفعـول الحجاب بحجاب مضاد ، فعادت السيدة تاتشر وكرهته كراهية شديدة واستردت منه ما سبق أن دفعته له ، فانتقم منهـا بأن عمل لها عملا سفليا مروعا وضعه لها فى بحر المانش فكـانت من آثاره أن تخلص منها الحزب ، غير أننا ـ بأمانة البحث العلمى ـ لا نستطيع أن نجزم بصحة هذه الواقعة.

هناك بالطبع من يتصـور أن الأشياء تحدث على الأرض طبقا لقوانين ثابتـة وليس لأسباب عـاطفية أو سحـرية أو حجـابية ، ولكننـا بالطبع نسقط من دراستنـا ومن اعتبـارنا هـذه الفئـة الغبية التـى تنكر ضـوء الشمس بإنكارهـا للأعمال والأحجبـة ، وننتهز هذه الفـرصة ، لنسكتهم ونفحمهم ونلقمهم حجـرا بأن نسألهم : لماذا فى تصـوركم نحن نحب

الأغبياء ، العجزة ، الجهلة ، الكسالى ، منعدمي الكفاءة ، منعدمى النزاهة؟

لماذا نحبهم وندفع بهم لمقدمة الصفوف وفى دوائر الضوء فى كل المجالات ؟

الإجابة : لقد سحروا لنا .. عملوا لنا عملا بالحب .. ألبسوه لنا فى رقبتنا بوعى أو بلا وعى منا ، أو وضعوه لنا فى مكان آخر ، على فرع شجرة مثلا ، كلما هبت عليه الريح أججت نيران حبنا لهم وشغفنا بهم ، بالتأكيد هؤلاء جميعا يرتدون حجاب محبة من النوع ممتد المفعول.

ومن هذه الإجابة ينشأ سؤال : هل لابد أن يرتدى الأذكياء ، الأقوياء، ذوو الهمة العالية ، هذ الحجاب ليحصلوا على الحب والاهتمام والتقدير ؟

الإجابة : للأسف لقد أثبتت الأبحاث أن النماذج الراقية من البشر عندما ترتدى هذا الحجاب ، فإنه يعمل بشكل معاكس ويجلب عليهم الكراهية والاحتقار والفقر .

وهنا نقترب من منطقة حساسة فى بحثنا : هل كان الأخ هاشم نصابا بالفعل عندما طلب ٦٤ ألف دولار من المواطن العسيرى مقابل حجاب المحبة ؟ هل انتهك العرف السائد ؟

الإجابة التى تثبتها دراستنا هى : لأ .. فقانون التفكير السائد عند السواد الأعظم فى المنطقة هو الطلاسم ، والأوهام ، والكلمات المراوغة ، والأمانى التى لا يستند تحقيقها إلى الفعل الواضح . اكشف عن عقل أى إنسان وخاصة هؤلاء الذين أعطتهم الحياة فرصة الحديث إلى البشر ، ستجد الأخ هاشم جالسا متربعا فى كلماتهم ومقالاتهم وأحاديثهم . السلعة الموجودة فى السوق هى غياب العقل ، والدولارات الكثيرة ستأتى باستغلال هذا الغياب . فكيف نطلب منه أن يحصل عليها من مصدر آخر ؟

إن حركة بيع الوهم هى التجارة السائدة فى الأسواق الآن ، كيف نطلب منه أن يتاجر فى سلعة أخرى لا وجود لها ؟



الضحيـة تطلب الوهم وتـدفع فيه ثمنـا كبيرا ، فلماذا يمتنع عن البيع ؟ لنفرض أنك ذهبت لشخص تطلب منه حجابا فلم يستجب لك لسبب من الأسبـاب ، ألا يمكن فى هذه الحالـة محاسبتـه بتهمة الامتنـاع عن البيع للجمهور ؟ وهى تهمة عقوبتها الحبس والغرامة .

ألا نطالب جميعا بحرية التجارة وآليات السوق وحرية البيع والشراء بلا قيـود ؟ هل باع له الحجـاب بالقوة ؟ هل أرغمـه على شرائه ؟ هل هو حجاب مغشوش ؟ هنا كان يجب أن يتدخل القانون ، ولكن بتهمة الغش وليس النصب . لماذا إذن هــاجمه رجـال الشرطـة وتحمســوا كل هـذا الحماس للقبض عليه ؟

نحن نـرى فى بحثنـا أن الـدافع السيكولـوجى عنـدهم كـان الحقـد والغيرة من كلا الرجلين ، من هــاشم ومن العسيرى . فهاشم استطاع فى عمليـة واحـدة أن يكسب (٦٤٠٠٠ دولار × ٣٣٣ قـرشـا = ٢٣٨٣٢٠ جنيها مصريا) وهو ما يساوى مرتب لواء شرط فى أكثر من مائة عام .

أمـا من ناحيـة العسيرى فما من شك انـه أمر يثير حقـد وغيرة أى رجل فى أى منصب مهما كان عمره ومهما كـان نصيبه من حب النساء ، أن يرى رجلا آخـر يتمتع بحب النساء لغير ميزة فيه ، ولأنـه قادر فقط على شراء حجاب محبة .

إن الرجـل منا ينفق على زوجتـه إلى أن يموت ، ويلعب أمـامها عجين الفلاحة ، ويقيد لها أصابعـه شموعا ، ويمشى على العجين فلا يلخبطه ، ومع كل ذلك لا يضمن حبها ، أليس من الطبيعى والحال هكذا أن نشعر بالحقـد يفرى أكبـادنا ، والغيرة تنهش قلـوبنا من ذلـك العسيرى الذى ضمن حب كل من تقابله بهذا الحجاب ؟

لنضـع الآن بحثنـا أو نلخصـه فى مقـولـة واحـدة : لنفـرض أن الأخ هاشم كان كاتبا محترفـا يبيع الوهم فى كتاب ، أو صحفيا يبيع الوهم فى مقالة ، أو سياسيا أو حزبيا يبيع الوهم فى قرار ، أو فنانا يبيع الوهم فى فيلم ، أو متحـدثـا يبيع الـوهـم فى الإذاعـة والتليفـزيـون ، هل كنتم ستقبضـون عليه ؟


حوار ضاحك مع الجن والعفاريت
١٩
حوار
مع عفريت

تـشـــ ـان

لى فى إحدى الندوات الثقافيـة بوصفه مخرجا ، تكلم فى كل شىء مـا عدا الإخـراج فسألتـه : حضرتك مخرج سينمائى ؟

ـ لأ ..

ـــ تبقى مخرج مسرحى ..

ـــ لأ .. الواقع أننى درست الإخـراج المسرحى والسينمائى ، ولكنى فى الممارســة العمليـة فشلت فى الحصـول على مكـان فى الـوسط الفنى ، وكـدت أجوع إلى أن الهمنى اللـه أن أستخدم كل قـدراتى الإخراجيـة فى مهنة جديدة بـدأت تنتشر الآن فى مصر ، وأعتقد أنها فى المستقبل القريب ستكون المهنة الوحيدة التى تحظى باحترام الجميع .

ـــ وماهو هذا الفرع الجديد من فروع الإخراج ياعزيزى المخرج ؟

ـــ إخراج الجان ، أنـا أقوم بإخـراج الجان من أجسام البشر الـذين يسكنهم الجان..

ـــ يالها من فـرصة طيبة ساقتهـا الىّ الصدفة ، منذ زمن بعيـد وأنا مشتاق لمقابلة واحد من مخرجى الجان .. لدىّ بعض الاستفسارات.

ـــ اتفضل تحت أمرك .

ـــ لماذا يسكن الجان أجســام البشر ؟ هـل هى أزمــة مساكن؟.. أنا أعرف أن هـذه المشكلة لا وجود لها عندهم حيث أنهم يسكنون الخرابات والأماكن المظلمة الموحشة.

فضحك الرجل وقال : الواقع أنك لست وحدك الذى يجهل شئون العفاريت .. فقد انشغلتم بقراءة التاريخ والجغرافيا والسياسة والفلسفة وعلم الاجتماع وأضعتم أعماركم فى المعامل تحدقون فى الميكروسكوبات ، فغاب عنكم دراسة أهم ما فى الواقع وهو العفاريت .. ومع ذلك فمعلوماتك صحيحة عن أماكن سكن العفاريت .. الجديد هو أنها تسكن الأماكن العشوائية أيضا .. من المستحيل أن تجد عفريتا يسكن الساحل الشمالى .. أو مراقيا مثلا .. ولكن العفاريت ياصديقى لاتسكن أجسام البشر .. بل تركبها .

— لماذا ؟ أليس لديهم طرق مواصلات أخرى ؟

— صدقنى لا أعرف ، فالعفاريت ليست تخصصى ، لقد مررت عليها بسرعة كجزء من مناهج التعليم .. ولكن من خلال معرفتى القليلة أستطيع أن أقول لك إن العفاريت لا تركب البشر بهدف الانتقال من مكان إلى مكان ، فهى قادرة على ذلك بحد ذاتها بسهولة وبسرعة لا تتخيلها ، ولكنها تركب البشر لأنها تعشق ذلك ، يبدو أنها تعتبر البشر ركوبة جيدة .

— صدقنى أنا عاجز عن هضم هذه الفكرة .

— لأنك لست عفريتا ، أنت تحكم بمقاييس البشرية ، الواقع أننى كنت مثلك لا أصدق ذلك ، إلى أن حضرت عفريتا بالصدفة فى معملى وكان عفريتا مثقفا وسألته : لماذا تركبون البشر ؟

فضحك العفريت وأجابنى : ليس مسموحا لنا نحن العفاريت أن نجيب على هذا السؤال بالتحديد..

— نعود إلى موضوع تخصصك ..

نحن نقرأ هذه الأيام عن أناس ماتوا أثناء عملية الضرب التى تتم بهدف إخراج الجان من أجسامهم ، فهل تلجأ سيادتك للضرب أيضا ..؟

— نعم ..

— ألا تخشى أن يموت الشخص الملبوس وتروح فى داهية ؟

— الواقع أننى أنا شخصيا لا أتولى عملية الضرب بنفسى ، أنا أكلف

ـض أقارب الملبوس بهذه المهمـة .. أطلب منهم أن يضربوه ، بينما أقوم أنـا بعمليـة التـوجيـه والتحميس .. وكلما صرخ الملبـوس أقـول لهم : لاتأخـذكم به شفقـة .. الـذى يصرخ الآن ليس هو بل الجان الشريـر .. إديله.. جامـد ما ترحموش .. وفى اللحظة التـى أرى فيها أن الملبوس على وشك أن يموت أقول لهم ، انتهت الجلسة ، تعـالوا غدا فى نفس الميعاد .. فى الغـالب هـو يموت عنـدهم فى البيت بعيـدا عن عيـادتى .. ولكن بعـد خروج الجان من جسمه طبعا .

— أليس من الجائز أن يمـوت الملبـوس دون أن يخرج الجان من جسمه ؟

— هذا أمـر غير منطقى وغير طبيعى وغير واقعى ، لماذا يلبس الجان جثة هامدة ؟.. من الطبيعى أن يخرج منها ليبحث عن زبون آخر.

— هل جـربت الحوار بـديـلا عن الضرب ؟ هل جـربـت الإقنـاع بالحسنى ؟.. حتى الجن الشريـر من الممكن التحاور معـه بالمنطق . أى كائن حى قـابل للحوار بالمنطـق العقلى المجرد ، ولئن كانت عـاطفةالحق داخل الإنسـان من أقـوى العـواطف ، ألا يكـون من الطبيعى أن تكـون عاطفة الحق أيضا داخل الجان لها نفس القوة ؟

— هل تعتقـد أننا نلجأ لإخراج الجان بـالضرب بدافع مـن رغبتنا فى تعـذيب الآخرين ؟ هل تعتقـد أننا أوغـاد قساة القلـوب غلاظ الأكبـاد ؟ الواقع أن الحوار على أسس منطقية فاشل جدا مع العفاريت .

— هل جربت ذلك ؟

— لم أجرب ذلك ، ولكن من المعروف علميـا وعفاريتيا أن استخدام الحوار مع الجان لا يأتى بنتيجـة .. ومع ذلك أنا على استعـداد لدخـول التجربة ، فى تصورك كيف أقنع جانا شريرا يلبس إنسانا أن يخرج منه؟

— الأمر بسيط اسألـه لماذا تلبس إنسانا ؟ هل تشعـر بالبرد؟ إلبس بلوفر ، إلبس بالطو ، ضع على جسمك بطانية أو لحافا .. وإذا كنت تبحث عن الدفء .. اذهب إلى خط الاستواء.

— وهل تظن أنك بمثل هذه الأسئلة ستصل إلى نتيجة ؟



— نعم ، أتح لى الفرصة للحوار مع أى عفريت سأثبت لك كلامى ..
— حسنا .. سأعرض عليك حالة خفيفة لمثقف يلبسه جان معتدل ومستنير .. تعال وتفاهم معه .
— بكل سرور .
جلست أنا وصديقى فى غرفة الإخراج ومعنا الحالة ، وهو مثقف معروف لا داعى لذكر اسمه . قام صديقى ببعض الطقوس الإخراجية بعد أن أطلق البخور وقال بعض الطلاسم إلى أن حضر الجن . فوجئت با لمثقف يتكلم بصوت مختلف عن صوته الأصلى.
— هل حضرت ياعزيزى الجان ؟
— نعم ..
— أهلا وسهلا بك فى مصر . ما اسمك ؟
— فلاديمير عطا الله ..
— منين يافلاديمير ؟
— من أوزبكستان ..
— أحسن ناس ، أهلا وسهلا .. تسمح لى بسؤال : لماذا تركب هذا الرجل ؟
فضحك فلاديمير ورد بهدوء : أنا ألبس هذا الرجل لأن مزاجى كده .
— ولكنك تعطله ياعزيزى فلاديمير .. تمنعه من العمل والتنمية وتجعله مصدر متاعب وألم لمن يحيطون به .. فهل تقبل ذلك ؟
— نعم .. أقبل ذلك .
— تقبل أن تكون شريرا ؟ .. لا أعتقد أن ذلك يسعدك ..
— لا شأن لى بما تعتقد .. الواقع أنا يسعدنى أن أكون جانا شريرا .
— ولكن لماذا اخترت هذا الإنسان بالذات لتركبه ؟
— سؤال سخيف ! وعندما تركب أنت الديزل المكيف الهواء ، هل يسألك أحد لماذا تركب هذا الديزل بالذات ؟
— أولا اسمح لى أن أعبر عن سعادتى بأنك تحاورنى .. وأنا واثق بأننا سنصل إلى نقطة اتفاق .. لو سألنى أحد لماذا تركب هذا الديزل

بالذات لأجبته بكل صدق .

— وأنا أجيبك يا أخى بكل صدق .. أركب هذا الإنسان بالذات لأن مزاجى كده .

— ولكن الحياة لا تسير إلى الأمام بالأمزجة .. المطلوب مراعاة مصالح البشر ..

— وماذا عن مصالح العفاريت .. مصلحتك كبشر هى أن أمتنع عن ركوبك ومصلحتى كجان هى أن أركبك .

— جميل .. يخيل إلىَّ أننا على وشك الوصول إلى اتفاق ، ما رأيك فى أن نتبادل المصلحة .. كل واحد يركب شوية .. وبذلك تتحقق مصالح الطرفين.

— ماذا تقصد ؟

— أقصد الركوب المتبادل ، أو الركوب المشترك ، إن حقك فى أن تركبنى يعطينى نفس الحق فى أن أركبك ..

— هذا منطق أرسطى غير واقعى وغير علمى ، وقياس خاطىء واستدلال عبيط .. نحن نركب البشر ياعزيزى ليس لأن من حقنا أن نركبهم ، بل لأننا قادرون على أن نركبهم ، هذه المسألة لا صلة لها بالحقوق والواجبات ، بل بالقدرات .. تقدر تركبنى ؟

— نعم .. أنا بالذات أستطيع أن أركبك وأن أركب من هو أتخن منك..

— لا تنزل بمستوى الحوار .. لا تكن قليل الأدب ..

— أنا آسف .. فقدت صوابى للحظة لأننى غير مدرب على الحوار الديموقراطى .. مرة أخرى أنا أعتذر لك .

— ولا يهمك .. أكمل كلامك ..

— أنا متعب يافلاديمير .. هل نكمل حوارنا الأسبوع القادم ، فى نفس الموعد .

— تحت أمرك..

فى غرفة الإخراج أشعل صديقى المخرج البخور ، فامتلأت



الغرفة بسحب الدخان المعطر بينما المثقف الملبوس المسكين يجلس مسترخيا على شيزلونج، قرأ المخرج بصوت هامس عدة صفحات من كتاب باللغة الفرعونية القديمة ، وفجأة شعرت بموجة باردة تسود الغرفة وكأننا في العراء في برد يناير . أدركت أن فلاديمير حضر فقلت مرحبا : مرحبا بك ياصديقى الجنى فلاديمير .. هل حضرت ؟

سمعت صوت إجابته وهو يتثاءب : أنا حاضر طول الوقت .. كنت نائما .

— آسف لإيقاظك .

— ولا يهمك .. كان يجب أن أستيقظ على أى حال فلدى موعد معك وأنا أحترم مواعيدى .

— غريبة . هل أنت تنام أيضا مثلنا ؟

— كل من على الأرض ينام ، الإنسان والحيوان والنبات .. فلماذالا ينام الجان ؟

— وهل تنام داخل جسم هذا المثقف المسكين ؟

— طبعا .. أنا أسكن بداخله ، هل تتصورأن أتركه وأنام فى فندق ؟

— إننى أشعر بالملل عندما أرتدى بنطلونا واحدا طوال الاسبوع .. ألا تشعر بالملل وأنت تلبس شخصا واحدا طوال الوقت ؟

— لأ .. وحتى عندما أشعر بالملل سأستدعى صديقا عزيزا ليسكنه بدلا منى .

— فى هذه الحالة ، هل تدفع خلو جن ؟

— هأ هأ .. لأ ، نحن لا نعانى مثلكم من أزمة مساكن .. فى أى لحظة يقرر أحدنا أن يسكن أو يركب بشرا يجده على الفور .

— فلاديمير .. أجبنى بصراحة .

— أعتذر عن هذه الجملة . فمعناها أن من المحتمل أن أكذب ، أنتم فقط تكذبون لأنكم بشر منافقون ضعفاء ، لماذا نكذب نحن ؟

— أنا آسف فلاديمير .. اللى ما يعرفك يجهلك .. ماهى مواصفات الشخص الذى تركبونه أوتلبسونه أو تسكنونه أو تمسونه ؟

— هو ببساطة واختصار شخص صالح لأن نركبه أو نلبسه أو نمسه .

— أفادك الله .. أنا أقصد ماهى الشروط التى يجب أن تتوافر فيه ؟

— لماذا ؟ هل تبحث عن جنى يركبك ؟

— والله يافلاديمير ياعزيزى .. أنا راكبنى ألف جن ، ولكنى لاأشعر بالضيق منهم .. أنا واثق أن عددا كبيرا من الجن يعيش بداخلى ويلهمنى بعض ما أكتبه ..

— أشكر لك هذه المجاملة ، الواقع أن اسمك ليس فى كشوف المركوبين أو المسكونين أو الملبوسين أو الممسوسين .. الكشوف أمامى .. سيادتك لست مريحا فى الركوب .

— أنا آسف لذلك .. يبدو أننى لم أكن محددا فى سؤالى ، ألاحظ أنكم تركبون الناس فى مصر بكثرة هذه الأيام ، وفى المنطقة العربية ، هل كان من الممكن أن تركبوا أو تسكنوا أو تلبسوا طه حسين مثلا ، أو الدكتور أحمد زويل أو فاروق الباز أو السيدة أم كلثوم أو السيدة فاتن حمامة ؟

— لأ .. مستحيل .

— لماذا ؟ هل هم أقوى منكم .. هل هم أقوى من الجان ؟

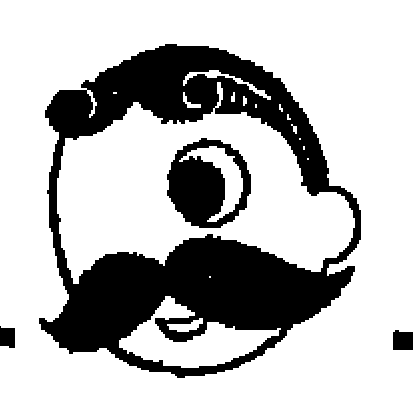
— من الصعب علىّ أن أعتقد أن هناك من هو أقوى منا .. وصدقنى أنا لم أفكر فى ذلك من قبل ، المسألة باختصار أن الأسماء التى ذكرتها هى لأشخاص ليسوا تعساء ، الشرط الأول لركوب أى إنسان هو أن يكون تعيسا .

— أنا أشكرك يافلاديمير لأنك تكشف لى عن أسرار المهنة .

— هأ هأ .. الواقع أنا على استعداد لأن أكشف لك عن كل أسرار المهنة ، ولكن ذلك لن يفيدك .. لن تمنعنا من ركوب الناس .

— لماذا ؟ سأطلب من الناس ألا يكونوا تعساء .

— ستطلب ؟! يالك من جاهل مغرور .. تعاسة التعساء يصنعها مناخ كامل .. هل تستطيع تغيير المناخ ؟ التفكير الأحمق المتخلف ، والسلوك السيىء والنفاق والعادات القبيحة



والسخافات وانعدام الأمل ، هذا الذى يحب الأدب هل تستطيع أن تجعل منه نجيب محفوظ ؟ هـذا الذى يحب التمثيل هل تستطيع أن تجعل منه أنـور وجـدى أو فاتـن حمامة ؟ هـذا الـذى يحب الإدارة والتجـارة هل تستطيع أن تجعل منه طلعت حرب ؟ لو ظهـر فريد الأطرش الآن أو نور الهدى أو صباح أو وردة الجزائرية أو عليا التـونسية ، هل ستسمحون لهم بـالغنـاء أم تمنعونهم من الغنـاء لأنهم أجـانب وتطـاردونهم فى كل مكان إلى أن يدفعـوا المعلوم ، هل لو ظهرت سعـاد حسنى جديدة الآن ، ألن تطلبوا منهـا شهادة عليا ؟ هل يستطيـع شاب موهـوب حاصل على دبلـوم صنايع أن يلتحق بمعهـد الفنـون المسرحية لتحصلـوا على أحمد زكى آخر ؟ هل يستطيع واحد منكم أن ينجح فى أى مجال ؟ أى مجال .. هل مسموح لأى منكم أن يكـون طويل القـامة . أنتم جميعـا منشغلون بتحطيم أنفسكم وتحطيـم كل شىء ، وإذا مـا استمـر هـذا المنـاخ فسنستمر فى ركوب الناس وسكنى أمخاخهم .. هذا هو الجو المثالى لنا.. التعاسة .

— فلاديمير ، صـدقنى كلماتك تشعرنى بقـدر هائل من التعـاسة ، وأخشى أن يركبنى أحدكم .

— انتظر قليلا ..سأبحث عن اسمك فى كشوف المرشحين للركوب .

مرت لحظت سمعت فيهـا صوت شخص يقلب أوراقـا .. بالإضـافة لصوت دق على أزرار كمبيوتر .

— لا ياعـزيزى .. لم يظهـر اسمك فى كشوف المرشحين للـركوب .. على الأرجح لأنك على وعى بمصادر تعاستك .

— إذن يافلاديمير .. التعاسة فى حد ذاتها ليست خطرة .. الخطر هو انعدام الوعى بمصادرها .

— محتمل .. وإن كنت أرى أن الأقـرب للصحـة هـو تـزييف هـذا الوعى وليس غيابه .

— من فضلك اشرح هذه النقطة .

— غياب الـوعى بمصادر التعـاسة يعنى ألا تعـرف لماذا أنت تعس

أصلا .. أما تـزييف هذا الوعى فهو إرشادك إلى مصادر وأسبـاب مزيفة ومزورة عن أسبـاب هذه التعاسة . فقد تكـون فقيرا لأنك لا تجد عملا بأجـر كاف أو لا تجد أصلا عمـلا ، ولكنك ستجد من يقنعـك بالإلحاح بأنك فقير لأن هـذا هـو قدرك وأنـه لا تـوجـد طريقـة على الأرض لحل مشاكلك .. وأن الطـريقة الـوحيد لحل مشاكلـك هى أن تموت فتجد لكل هذه المشاكل حلولا جيدة فى السماء .. تستطيع أيضا أن تقول إن تزييف الوعـى هو فى نسيان الهدف الأصلى أو تجاهلـه .. حضرتك مثـلا ، كان هدفك من الحوار معى أن أخرج من جسم هذا المثقف بلا عنف .. ولكنك الآن انجرفت معى بعيـدا فى مسائل أخـرى .. عموما مـا رأيك فى تأجيل حوارنا للجلسة القادمة ؟

قال لى صديقى المخرج : أمـا زلت مصرا على قدرتك على إخراج الجن من أجسام البشر بالحوار وليس بالضرب ؟.

— نعم .. أنا أثق من أنى سأنجح فى ذلك .

حتى الآن الحوار متصل بينى وبينـه والحق فى جـانبى ، سأواصل الحوار معه من أجل إقناعه بالحق .

— ماشى .. تعال .

فى غرفة الإخراج نام المثقف المسكون على الشيزلونج وتم تهيئة الجو الـلازم لحضـور الجن وبعـد إجراء الطقـوس المطلـوبـة ارتجف جسم المثقف بشدة فعرفت أن «فلاديمير» قد حضر.

— أهلا ياعزيزى العفريت فلاديمير.

— لم أعد عفريتا ، لقد صدرت حـركة الترقيات الجديدة منذ لحظات وحصلت على رتبة مارد .

— ألف مبروك .. واللـه أنت تستحقهـا منـذ زمن طـويل ، ولكن المحسوبيـة فى هذا الزمن الردىء طغت على كل شىء .. فى الغـالب هناك عفاريت كثيرون تخطوك فى الترقية .

— لم يتخطانـى أحد .. العفريـت المارد مرتبة يصـل إليها العفاريت المثقفـون فقط .. الذين يجيدون فهم السياسـة .. أنا أفهم فى السياسة ..



— جميل .. سأجعلك تخرج من جسم هذا الرجل بالسياسة ، ماهو تخصصك السياسى ؟

— مجالى هو لأ .. تخصصى هو لأ .. يا حلو لأ .. لأ .. مالكش حق أى شىء فيه لأ هو تخصصى الدقيق .

— مثل ماذا .. ؟

— مثل لأ لمؤتمر الدار البيضاء .

— هل أفهم من ذلك أنك ستمنع الطائرات والبواخر من نقل أعضاء المؤتمر للدار البيضاء ؟

— لأ ..

— هل أفهم من كلمة لأ أنك ستمنعهم هناك من النقاش والوصول إلى اتفاقيات ، هل ستصيبهم بالخرس والطرش ، وبعد أن يصلوا إلى اتفاقيات على مشاريع صناعية وزراعية وتجارية وطرق وكبارى وسياحة ، هل أنت قادر على أن توقفها .. ؟

— لأ . ولكنى قادر على أن أقول لأ .. لأنى عفريت مارد .. هاها ..

— ياعزيزى العفريت المارد ، أنا أرفض فكرة أنك عفريت عبيط أو أبله أو تقول كلمات لا معنى لها .. ماذا تعنى بجملة لأ لمؤتمر اقتصادى بهذا الحجم ؟

— تعنى أننى ضده ..

— جميل .. ماذا تعنى بكلمة ضده . هل أنت قادر على جمع أعضائه ووضعهم فى المعتقلات ؟ هل أنت قادر على إصدار قرار بالاستيلاء على أموال وشركات أعضاء هذا المؤتمر لتوزيعها على محاسيبك من العفاريت .. من الواضح أنك عاجز تماما عن الفعل .. أنت عاجز عن الشر ، فلماذا لا تحاول فعل الخير ..؟ لماذا البلاهة .. أجبنى ماذا تعنى بـ لأ لمؤتمر اقتصادى ينعقد برعاية روسيا وأمريكا وملك عربى ويشترك فيه أقوى رجال السياسة والأعمال فى العالم كله ..؟ هل لديك سلاح طيران قادر على الطيران إلى هناك ونسفهم جميعا فى قاعة المؤتمر لمنعهم من المناقشة والاتفاق على مشاريع لتنمية المنطقة ؟

— لا .. أنا أمتلك كلمة لا .. لأن هذه المشـاريع كلها ستكون لصالح إسرائيل .

— ومـا رأيك أنت ، هل ستترك إسرائيـل لتجنى وحـدهـا ثمار هـذا المؤتمر .. ماذا ستفعل ؟

— سأقول لا لمؤتمر الدار البيضاء .

— أسألك عما ستفعل وليس عما ستقول .

— هذا هو مـا سأفعله ، سأقول لا .. وبذلك أخلق تيـارا معاديا لكل المشاريع ، ينضم إليـه كل الديماجوجيين والعاجـزين عن الفعل وعشاق الخراب .

— جميل .. هـذا التيـار المعـادى للسـلام ولمشـاريع السـلام ولكل الاتفاقيـات الاقتصادية والسيـاسية فى المنطقة هل هـو قادر على تعطيل مشـاريع السلام فى الأردن وفى فلسطين وفى الخليج ، هل أنت قـادر على منع رجـــال الأعمال العـــرب والإسرائيليين والفلسطينيين والأردنيين والأمـريكيين من تنفيذ مشروعـاتهم بعيدا عن مصر ؟ مع مـا فى ذلك من آثـار سلبية على مصر والمصريين ، أم أنك تقـوم بحالـة ترويع وإرهـاب لـدعاة السـلام والحريـة فى مصر ؟.. أنت تـريد للمصريين أن يلتصقـوا بخط الفقر والتعاسة .. لماذا ؟

— لكى أركبهم ، ألم أذكـر لك ذلك من قبل ؟ الشرط الأول لنـا نحن الجان والعفاريت والمردة لكى نتمكن من ركوب البشر هو التعاسة .

— أنـا أشكرك على صراحتك يـاعزيـزى العفريت المارد فـلاديمير .. أنت تريدنا تعساء لتتمكن من ركوبنا ..

— بالضبط ..

— لماذا ؟

— لأننى عفريت .

— آسف ، نسيت أنك عفـريت لا تهمك مصلحـة البشر فى شىء .

— ياعزيزى الإنسان الغبى الـذى يريد إخراجى من جسم

مثقف أكثر منه غباء .. مصلحة البشر تتحقق فى الحرية بمعناها الاقتصادى والسياسى ، حرية التجارة تخلق أوضاعا طبيعية ، وفى الأوضاع الطبيعية يجلس على القمة البشر الأكفاء والمبدعون فى كل مجال والسياسيون المهرة ، فى الأوضاع الطبيعية تسود روح المسئولية ويرفض البشر أن يركبهم أحد .. ماذا نفعل نحن العفاريت فى هذه الحال؟ لن نجد من نركبه ، ياأخى نحن نحارب دفاعا عن أنفسنا ، ودفاعا عن ممارساتنا اللذيذة .

— أنت تفسر لى الآن شيئا كان غامضا ، عفاريت اليسار واليمين من كل نوع ولون اجتمعت كلها فى جبهة واحدة موحدة .. تجمعها جميعا وحدة الهدف .. الذى هو ركوب البشر .

— نعم ، هل يضايقك ذلك .. كل كائن على الأرض يفعل ما يجيده .. أنا لا أجيد العمل وأكرهه .. وأكره التنمية لأنها تتطلب قدرات خاصة ليست عندى .. وأكره العلم لأن مصلحتى فى الجهل .. أنا لست بشرا ، أنا عفريت . لا أجيد ولا يسعدنى سوى ركوب البشر ، هل تلومنى على ذلك ؟

— لا طبعا .. كل ميسر لما خلق له .. أنا أطلب منك فقط الخروج بالذوق من جسم هذا المثقف المسكين .

— اتفضل اخرجنى .. لن تستطيع ، أنت منافق تلجأ للحوار لعجزك عن ضربى كما يفعل الباقون لإخراج الجان والعفاريت من أجسام البشر.

— يالك من مارد خبيث .. تغرينى بضربك لكى يسهل عليك فيما بعد اتهامى بعجزى عن الحوار .

— نعم ، أنا أغريك بضربى .. إذا كان ركوب البشر لذيذا ، فإن استخدام العنف لإخراجنا من أجسامهم مكمل لهذه اللذة.

أنا أشعر بالإجهاد ياعزيزى المارد .. سننهى هذه الجلسة الآن ، ولكنى أعدك بأن أحرمك من لذة إخراجك بالضرب .. فى الجلسة القادمة ستشرح لى لماذا تشعرون بلذة الضرب !

●●●

سرت رياح باردة فى الغرفة، ارتجف جسم المثقف الغائب عن الوعى ، عرفت على الفور أن العفريت المارد قد حضر ، أصارح القارىء بأنى كنت متوترا ومستفزا ، لقد ضاعت ثلاث جلسات وأنا أحاوره بكل تهذيب من أجل أن يخرج ، غير أنه كان يدفعنى دفعا لأن أفقد أعصابى وأضربه . ولكنى فى هذه الجلسات تمالكت نفسى وعقدت العزم على أن أضع أعصابى فى ثلاجة لكى لا تمتد يدى عليه فأخسر رهانى .

— أهلا يافلاديمير .. أيها المارد المهذب ، المعتدل ، المستنير ، الطيب.

ضحك فلاديمير بصوت مرتفع ، نفس ضحكة العفريت فى فيلم لص بغداد وأجاب : هاها .. يالك من منافق ، هل تعتقد أنك عندما تنافقنى تتمكن من خداعى وإخراجى من جسم هذا الرجل ؟.. لست معتدلا ولا مهذبا ولا مستنيرا ولا طيبا .. أنا عفريت .

— حسنا اسمع أيها الوغد فلاديمير ، إذا لم تخرج فورا من جسم هذا الرجل سأضربك بحذائى الكلاركس .

— لن أخرج ..

— حذائى خسارة فيك .. سأضربك بشبشب زنوبة .

— من الأفضل أن يكون قبقابا ..

— آه أيها الوغد .. تريد أن تحولنى إلى إنسان معتد أثيم .. أى لذة تستشعرها وأنت تدفعنى دفعا لضربك ؟

— هى لذة لا يعرفها البشر الأسوياء ، أما البشر غير الأسوياء فيعرفونها جيدا ويعملون للحصول عليها بكل الطرق ، إنها تصل إلى حد القتل أحيانا .. ومن أجل هذه اللذة قد تدفع الضحية الجانى دفعا لقتلها .

— يعنى أنت تدفعنى الآن لضربك .. بوعيك وبإرادتك الحرة ؟

— نعم ، العفاريت والبشر غير الأسوياء والعبيد يحرصون دائما على محاصرتك ودفع ظهرك إلى الحائط فلا تملك إلا أن تلجأ معهم للعنف ، هذا هو بالضبط ما يطلبونه ويصرون عليه . إذا درست جيدا مصطلحاتكم الشعبية التى هى حصيلة خبرة



آلاف السنين فى السلوك البشرى ستكتشف ذلك بسهولة ..

— مثل ماذا ؟

— «الجدع ده شكله عاوز ينضرب» ، «شكله كده عايز يروح فى داهية» ، «هو اللى بيجيب التهزىء لنفسه» .. «ده من النوع اللى مابيجيش إلا بالضرب» .. «أهو ده تضربه وتاخد كرا إيدك» .

— لست أفهم المصطلح الأخير .

— الكراء هو الإيجار أو الأجر .. يعنى تضربه ويعطيك أجرك عن هذا الضرب ، كما حدث فى العراق مثلا .. لجنة من الأمم المتحدة تدمر له مواقع الصواريخ ومصانع الأسلحة الكيماوية ثم تقدم له فاتورة الحساب ليدفعها .. أى عقل يرفض المنطق العقلى ويتجاهل الواقع هو فى حقيقة الأمر يسعى لتحقيق العدوان على نفسه.

— لماذا .. ماهو السبب ؟

— سوء التربية .. لم يتشبع بالعقاب الواجب من السلطة الوالدية فى فترة التكوين عندما كان طفلا ، فيظل جهازه النفسى جائعا للعقاب .. يعنى مش متربى ..

— ولكنك بالتأكيد نلت تربية من نوع ما يافلاديمير، بالتأكيد قام أبوك وأمك بتربيتك تربية حسنة ، لأنك عفريت متعلم وتعرف الكثير .

— أعرف أشياء كثيرة نعم ، ولكن ما صلة ذلك بالتربية ؟ الكمبيوتر محشو بمعلومات هائلة ، هل هو متربى ؟ هذه مسألة خاصة بالبشر فقط ، العفاريت لأ ، أنا لست مطالبا باحترام الآخرين ، التربية الحسنة تدفعك فى النهاية لاحترام قيم المجتمع الذى تعيش فيه وتحترم حرية من حولك وحقوقهم ، وعندما تفشل التربية فى ذلك ، المفروض أن ينجح فيه القانون .. ما صلتى أنا بكل ذلك ؟ هل تعتقد أننا نحن العفاريت نتلقى أى نوع من أنواع التربية ، كلما كنا أكثر عفرتة ، كان ذلك أفضل .. هل تعتقد أن لدينا مدارس وجامعات وشرطة وقضاء وسجونا ؟ لا شىء من ذلك كله لدينا ، ولسنا فى حاجة إليه ، هذه كلها أمور ضد العفرتة ومعطلة لها .

فى لحظة وجدت نفسى أتذكر عـالم الطفولة ، بدأت ترن فى أذنى تلك التعبيرات القديمة التى كان يقولها لنا أهلنـا ، بس ياولد .. بطل عفرتة .. بطل شقاوة ياواد ياعفريت أنت .. بطـل عفرتة أحسن أضربك .. وأحيانا على سبيل الإعجـاب أو التـدليل .. الـواد ده عفـريـت ! لم نكن نعـرف بالضبط مـاهى العفرتـة ، لكن ذلك لم يمنع من أن نعاقـب عليها لنكف عنها ، وعندما كان أحد الناس يفقد أعصابه كنا نقول : فلان اتعفرت .

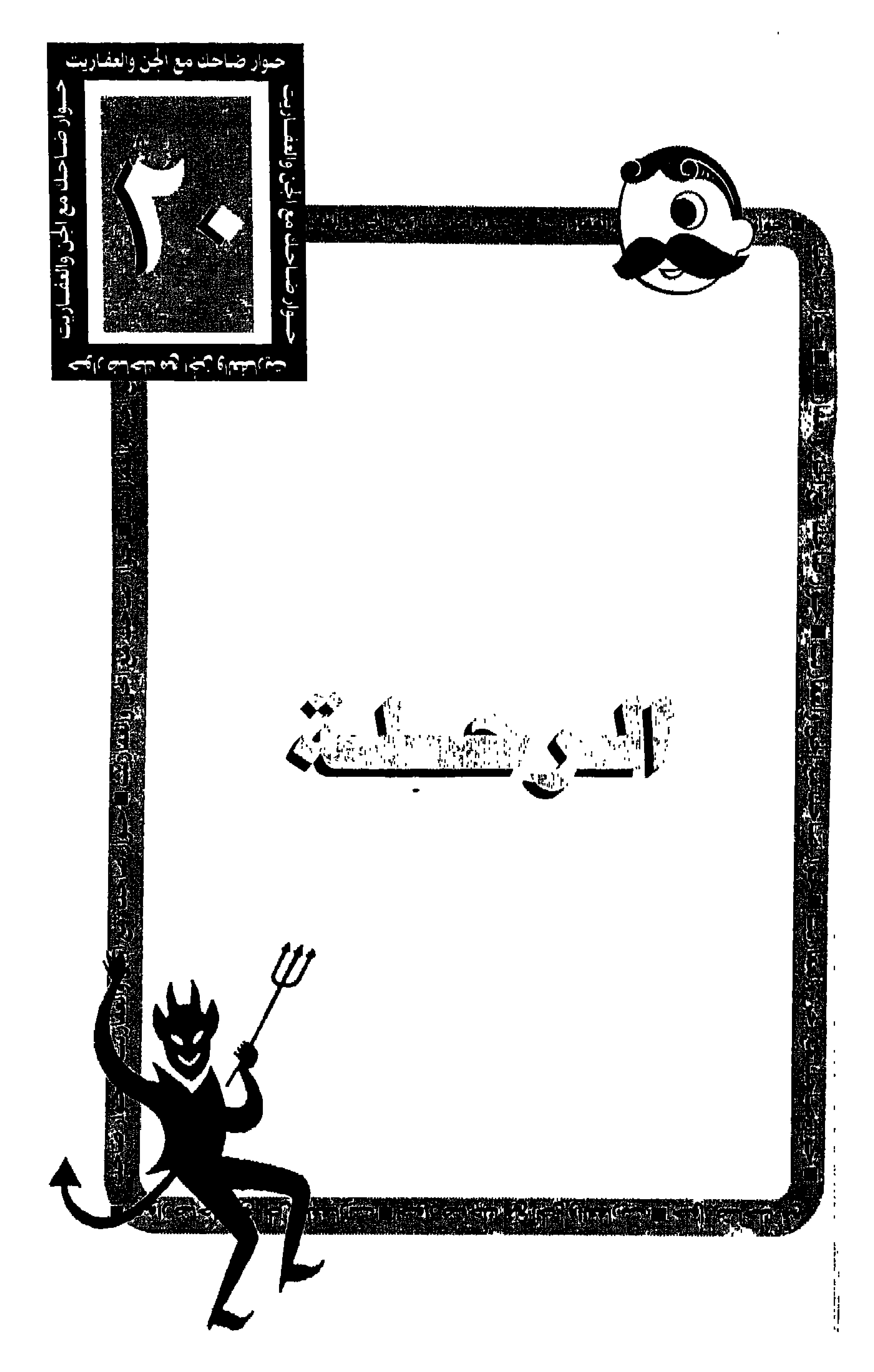
بالتأكيد ليس لدينا دراسات كـافية عن الإنسان وصلته بالعفاريت ، لكن من الواضـح أو من المعروف أن هناك صلة بين العفريت والضرب فى مرحلةالطفولـة . هل هذا المجتمع يمر بمرحلة ارتـداد إلى الطفولة ؟ إن ما نسمعه عن ذلك العدد الكبير من البشر الـذين تركبهم العفاريت ليس إلا تجسيـدا لفكر العفـرتـة والضرب ، معنى ذلك أن الناس عجـزوا عن أن يكونـوا كبارا فقـرروا العودة إلى عهـد الطفولة الجميل ، حيـث أبو رجل مسلـوخـــة والعفـاريت والجان والمردة والأشبـاح ، عجــزوا عن تحمل النضج فعادوا صغارا حيث لا مسئولية .

طال صمتى أكثـر من اللازم فقلت لفلاديمير : أشكـرك .. وأنا آسف لأننى أضعت وقتك طوال هذه الجلسات .

قلت ذلك والتفـت لصـــديقى مخرج العفـــاريت وقلت لـــه : اعترف بـالهزيمـة ، لا سبيل إلى خـروجـــه من جسم هـذا المسكين بـالحوار .. اتفضل شوف شغلك ولكن بعد أن أخرج أنا من هنا .

●●●

خـرجت من الغرفـة ممتلئـا بالحزن واليأس ، كـان المثقف المسكين يصرخ بينما صديقى المخرج ينهال ضربا على العفريت فلاديميرعطا الله.



الرحلة

أشـيـاء

تحقق حلمي الأكبر في القيام برحلة بحرية أطوف فيها بمـــوانى البحـــر الأبيض وانتقل بين العـــواصم الأوروبيـة، وهـو حلم عسير التحقيـق نظـرا لظـروف المادية التى تتيح لى بصعـوبة التنقل داخـل القاهـرة فقط ، ولكن هذا الحلم البعيد تحقق فى لحظة .

فمنذ عدة شهـور وجهت لى دعوة لحضور حفل زفاف ابنـة صديق لى ، وفى الفـرح جـات جلستى مع أسرة كـريمـة يعمل كبيرهـا فى مجال السياحة ، هو الأستاذ حاتم الطامى رئيس مجلس إدارة الشركة المصرية للسياحة الدولية فيما وراء البحار . سألته بين الجد والهزل : كم تكلفنى هذه الرحلة مع الرأفة ؟

أجـاب : ولا مليم .. أنا أدعـوك للقيام بها على حسـاب الشركة .. أنـا شخصيا سأكون معك على ظهر المركب فى هذه الرحلة .

ـ ولكنـى أريد أن أدفع يـا سيدى ، ولـو مبلغا رمـزيا .. هـذه شركة قطاع عام ، وأنا أعرف ، ولا مـؤاخذة ، أن خسائركم كل عام بالملايين .. لا داعى لأن أضيف إليها عدة أصفار .. أو عدة أسفار .

ضحك الـرجل وقال : هل تصـدق الجرائد ؟ خسائرنـا بالملايين على الـورق فقط .. ودعنى أبـوح لـك بسر : القـاعـدة فى شركـات القطاع العام هى الخسارة .. لابد أن نقـدم ميزانية خاسرة عدة ملايين مـن الجنيهات والدولارات فى نهايـة كل عـام .. ولو أن



مسئولا تجرأ ، أو تمكن بسبب الجهل والحماقة أو الكفاءة من تحقيق أرباح واضحة فى شركته لدل بذلك على غبائه الشديد ، سيتخلصون منه على الفور ويعطون منصبه لواحد من الفاهمين .

ـ أفهم من ذلك أنه لا خطر البتة من تلك الخسائر التى يُمنى بها القطاع العام ؟

ـ لا يوجد فى مصر قطاع عام .. لقد ألغى القطاع العام من العالم كله تقريبا ، لأنه فاشل ، يوجد قطاع أعمال .

ـ نعم .. نعم .. آسف ، أقصد قطاع الأعمال ، هل هناك خطر يهدده من جراء تلك الخسائر المتراكمة التي ترحل عاما بعد عام ؟

ـ يا عزيزى .. الصحافة ستفقدكم عقولكم ، لا يوجد أى خطر من أى نوع يهدد شركات قطاع الأعمال أو العاملين فيها أو المتعاملين معها.. هناك دورة حتمية لرأس المال ، فى آخر كل عام مثلا ، أنا أخسر مائة مليون جنيه .

ـ عند ذلك تطلبها قرضا من البنك .

ـ لأ .. أطلب مائتين .

ـ فيعطيك البنك ؟

ـ طبعا .. وإلا وقع البنك نفسه فى مشكلة خطيرة .. البنك ، أى بنك، لابد أن تدخله الأموال وتخرج منه الأموال ، إذا دخلته فقط توقفت عجلة الاقتصاد وانهار على الفور ، وإذا خرجت منه فقط ، قد يفلس ، لذلك تحرص البنوك على إقراضنا .. هل تعرف أن شركتى توقفت عن الاقتراض من البنوك لمدة شهرين فقط ، نظرا لأننى كنت فى أجازة فى الخارج فجاءنى خمسة من مديرى البنوك مفزوعين يسألوننى : مش عاوزين تستلفوا ليه .. ؟ أمال حانودى الفلوس فين ؟

ـ حسنا ، لقد عرفت الآن إلى أين تذهب فلوس البنوك .. ولكن كيف تحصل هى نفسها على الفلوس ؟ ما هو مصدر هذه الفلوس التى تدخل البنوك ؟

ـ من المصريين فى الخارج والمصريين فى الداخل .. المصريون فى

الخارج فى واقع الأمر هم الذين يطعمون الشعب المصرى .. يرسلون لذويهم بالفلوس فيأكلون بجزء منها ويودعون الباقى فى البنوك .

ـ ومن أين يأتى المصريون فى الداخل بالفلوس ؟ .. أنا أرى أنهم لا يعملون بالقدر الذى يحقق لهم الثروات التى نسمع عنها والتى نرى آثارها فى الشارع .

— المصريون فى الداخل يحصلون على الأموال من الفلوس التى نخسرها نحن ، هل تعتقد أن خسائر قطاع الأعمال ناتجة من أننا نلقى بالفلوس فى الهواء .. أو نرميها فى البالوعات ؟! .. لأ .. طبعا ، هذه الخسائر فى النهاية تصب فى جيوب المسئولين عن هذه الشركات والمتعاملين معها .. أنت تعرف بالطبع أن المادة لا تفنى ولا تستحدث .

ـ يعنى خسائركم هى نفسها مكاسب العاملين والمتعاملين معكم .

— بالضبط .

ـ يعنى مصائب قطاع الأعمال هى نفسها فوائد العاملين والمتعاملين معه .

— بالضبط .. وهؤلاء بالطبع بعد أن يحصلوا على هذه الفلوس يعودون مرة أخرى لإيداعها فى البنوك .. فنذهب نحن ونقترضها منها.. وهكذا تدور عجلة الاقتصاد .. أؤكد لك أن هذه الخسائر لو كانت تشكل خطرا على الدولة أو المجتمع من أى نوع لأغلقت الحكومة قطاع الأعمال فورا بالضبة والمفتاح .. أنا فقط أريد أن أطمئنك أن رحلتك على ظهر المركب إلى موانىء أو بلدان أوروبا لن تكلفنا شيئا .. فتعال على الرحب والسعة .

ـ هل سأكون الضيف الوحيد ؟

— لأ .. طبعا .. هذه الرحلة مخصصة للضيوف ، إنها رحلة سياحية تجريبية ، الهدف منها هو معرفة كم يتكلف الفرد فى رحلة كهذه .. إنها رحلة من أجل إعداد دراسة جدوى .. إذا اتضح لنا فى نهاية الرحلة أن تكلفتها ستكون مرتفعة جدا ، سنصرف النظر عنها .. وإذا اتضح لنا أنها ستكون فى متناول السائح



المصرى من رجال الأعمال ، سنضعها على الفور على خريطة برامجنا .

ـ أفهم من ذلك أننـا سنحرص فوق ظهـر المركب على استهلاك الحد الأدنى من كل شىء وأننـا سننام فى فنادق رخيصـة ونستخدم أرخص طرق المواصلات ؟

ــ على العكس من ذلك ، دراسـة الجدوى تحتم تمتع الزبـون بأعلى درجات الراحـة والرفاهية ، والنوم فى أفخم الفنـادق .. إننى أحذرك منذ الآن .. غير مسموح لك أن تقول : نفسى مسدودة .. أو مليش مزاج آكل كباب .. أو شيئـا من هذا القبيل .. كل ضيـوفنا اخترنـاهم من الطبقات التى تعـانى إجهادا عصبيـا وذهنيا كبيرا فى مجال الأعمال والسيـاسة .. ومن حقهم أن يحظوا بقسط كبير من الراحة والرفاهية .

ـ الله يخليك .. لا أعرف كيف أشكرك .

ــ لا تشكرنى .. أشكر مصر التى ستوفر لك كل ذلك .

●●●

فى الموعد المحـدد التقينا فى كـافتريا فنـدق شيراتون بـالإسكندريـة ، مجموعة كبيرة من البشر ينتمون لكل قطـاعات وفئات المجتمع اللامع فى مصر .. قام الأستـاذ حاتم بواجبـات التعارف بيننا ، شملنا جميعـا جو من الدفء والـود .. تصورت أننـا سننتقل بعد دقـائق إلى الميناء ، ولكن يبدو أنه قد جد طارىء تسبب فى تأجيل الرحلة عدة ساعات . لم يقل لنا أحد ذلـك بوضـوح ولكنى استنتجته ، وبـالقطع أدركة البـاقون عنـدما دعينا لدخول قاعة الطعام لتناول طعام الغداء .

اختفى الأستاذ حاتم الطامى وترك لنا مدير إدارة العلاقات العامة فى الشركة وهو الأستاذ كـريم المحتد ، وهو رجل فى منتصف العمر ، وسيم ويقظ ، من الواضح أنـه يعرف مهام وظيفتـه جيدا .. بعد الغداء عـدنا للجلوس فى الكافتريـا وقد بدأ يستولى علينـا السأم ، بعد سـاعـة قال لنا كريم : أيها السادة ، من يريد أن يحصـل على قدر من الراحة .. عليه أن يتوجه إلى الاستقبال.. سيجد غرفة باسمه .

كنت مجهدا فصعدت إلى غرفتى المطلة على البحر ، نمت ساعتين نوما

مضطربا ، نزلت إلى الكافتريا مرة أخرى ، فى موعد العشاء دخلنا المطعم، وفى العاشرة مساء جاءت الأخبار ، الرحلة ستكون فى السابعة صباحا ، هذا ما فهمناه من مسئول خدمة الغرف ، ولكن مدير المطعم قال لنا : إن لديه « أوردر » بأن يجهز لتقديم طعام الغداء لنا فى الغد .. وبذلك يضيع من الرحلة يومان نبقى فيهما خاملين فى الأوتيل ، لم يضايقنى ذلك فأنا أشعر بالاسترخاء هنا .. الفرق الوحيد بين الأوتيل والمركب أن الأول ثابت فى مكانه وأمامه البحر .. عندما ظهر كريم سألناه عن موعد الرحلة فأجاب بابتسامة مطمئنة وغامضة : كل تأخيرة وفيها خيرة .

فى المساء قررت مجموعة منا أن تخرج من الفندق لتناول وجبة من السمك المشوى فى محل معروف فى أبو قير ، ولكن كريم نصحنا بألا نغادر الفندق فقد يأتى الأمر بالإبحار فى أى لحظة .

انتهزت فرصة أننى بعيد عن المجموعة فانتحيت بكريم جانبا : .. ما هى المشكلة ؟

ـ لا توجد مشكلة .

ــ متى إذن تبدأالرحلة ؟

ـ ربنا يسهل .

ــ ما هى احتمالات التأخير .. يوم .. يومان .. شهر ؟

ـ علم ذلك عند الله .

ــ هل هناك عطل فى المركب .. ؟

ــ ليس عطلا .. هى مشكلة ميكانيكية بسيطة .. ولقد تم بالفعل استدعاء رئيس الإدارة الهندسية فى الشركة لحلها ، بعد أن عجز عن ذلك مهندس المركب .

ــ ومتى يصل ؟

ـ فورا بإذن الله .

بدأت أشعر بالاضطراب .

●●●



يومـان الآن فى الفندق ولا خبر عن الرحلة ، كما اختفى الـرجل الذى وجـه لنـا الـدعوة ، والمعلـومـات التى يقـولها لنـا كـريم المحتـد رئيس العلاقـات العامة لاتشفى الغليل ، وأخيرا انتهـزت فرصة وجودنـا بعيدا عن المدعـوين وسـألتـه : كريـم .. لست مستريحا لضياع الـوقت هـذا .. صارحنى بطبيعة العطل فى المركب .

ـ ليس عطلا .

ـــ ما هو إذن ؟

ـ هو تعديل .

ـــ ماذا تعنى بكلمة تعديل ؟ .. هل هو تعديل فى خط سير الرحلة ؟

ـ لأ .. تعديل فى هيكل المركب نفسـها .

ـــ فى المركب نفسها ؟ .. هل هـى مركب شحن أصـلا ستحولونها إلى مركب ركاب ؟

ـ لأ .. هـى مركب ركاب عادية وفخمة أيضـا .. ولكن التعديل المطلوب والذى انهمك فيـه كل مهندسى الشركة .. هـو تركيب أربع فـرد كاوتش عملاقة لها .

ـــ كـريم لست متأكـدا من أننى قـد سمعتك جيـدا .. تقصـد فـرد الكاوتش التى تـركبونها على جـوانب السفينة لتقلل من قـوة الاحتكاك بأرصفة الميناء ؟

ـ لأ .. فرد كاوتش عادية .. تيـوبلس .. ولكن عملاقة .. وقد يركبون أكثر من أربع .. قد يركبون ستا أو ثمانى .

ـــ لماذا ؟

ـ لكى تتمكن من السير فى الطرق السريعة فى أوروبا .

ـــ من هو الذى سيتمكن من السير فى الطرق السريعة فى أوروبا؟ .. من تقصد ؟

ـ المركب .

حدقت فى وجهه ، كان جادا تماما وهو يدلى بهذا الهذيان .

ـــ كـريم أنـا أحب النكتـة والـدعـابـة والمرح .. ولكن ليس فى كل

الأوقات ، لقد بدأت الآن أشعر بالاضطراب فعلا .. بدأت أتشاءم من هذه الرحلة .. هل تتفضل وتخبرنى متى سنبحر ؟

ـ لم أقل لك نكتة ولا أمزح معك .. بعد تركيب فرد الكاوتش للمركب وبعد أن نجربها على طريق مصر إسكندرية الصحراوى أو الزراعى ، سنقوم بالرحلة .. إن الهدف الأصلى هو الدعاية للسياحة فى مصر .. فكر فى وكالات الأنباء وكاميرات التليفزيون فى العالم كله وهى تصور مركبنا السياحى البرمائى وهى تخرج من البحر وكأنها حوت عظيم .. فتتجاوز الميناء وتمشى فى شوارع أوروبا وتقف فى الميادين الواسعة .. أو تتوقف فى الحقول على مشارف المدن .. لابد من فكرة جديدة ، جريئة ، مبتكرة.. تجعل العالم يفغر فاه من الدهشة .

— كريم .. هل تتفضل وتقرصنى .. أريد أن أتأكد أننى لا أحلم .. وأن ما تقوله هو كلام يقال لى فى لحظات اليقظة .. ثم أسمح لى أن أدلق على رأسك جردل ماء ساقع لكى تتنبه لكلامك إذا كنت مسطولا .. أو غائبا عن الوعى .

ـ لا أنت تحلم ولا أنا مسطول .. هذه فكرة وافق عليها الجميع ، رئيس الشركة ، أعضاء مجلس الإدارة وأعضاء الجمعية العمومية .. إن الأفكار الجديدة تجد دائما من يقاومها بعنف وخاصة من هؤلاء المحرومين من الخيال .

— ولماذا وجهتم لنا الدعوة قبل أن تكون المركب جاهزة بالعجلات ؟ لماذا لم تنتظروا إلى أن تنتهوا من تركيب فرد الكاوتش ثم تتأكدوا من صلاحيتها بعد تجربتها فى الطريق الصحراوى أو كورنيش إسكندرية ، لماذا تعجلتم توجيه الدعوة لنا وحبسنا هنا فى الفندق ؟!

ـ سوء الحظ وحده هو المسئول عن ذلك ، نحن نعمل فى هذا المشروع منذ أكثر من عشرة أعوام .. وفى كل مرة كان الكاوتش يفرقع .. لأنه لم يتحمل ثقل المركب .. ولذلك أتينا بخبراء أوصوا باستخدام أنواع غالية من المطاط مقواة بصلب مرن .. هى مبنية على نظرية عجلات العربة الكارو مع إضافات بسيطة .

طلبت منه أن يأخذنى لرئيسه حاتم الطامى فورا فأبلغنى أنه من الصعب مقابلته الآن لأنه مشغول فى اجتماعات طويلة مع المهندسين .. بدأت أشعر بإحساس مؤلم لم يمر على من قبل على كثرة وتنوع ما قابلت من آلام .. هذا جحيم من نوع جديد .. جحيم المنطق المستحيل ، هو نوع من الجحيم لا يكلف صناعه شيئا .. هو فرن نشوى فيه نحن.. وندفع تكلفة شوينا .. لا أحد سيدفع مليما واحدا من جيبه ، ولا أحد يقول لهم هذا منطق مستحيل .. هذا جحيم .. لماذا لا أجرب أن أقولها أنا .. لابد أن أقو لهم الحقيقة عارية .

— ما تقوله هو كلام فارغ يا كريم .. ومع ذلك منطقى ومقنع .. ولكنى لا أوافق عليه .

ـ أنت لست مسئولا فى الشركة .. أنت مدعو على حسابنا .

— أشكرك ، إننى اعتذر عن عدم قبول دعوتكم .. أنا اعتذر عن عدم الركوب على ظهر مركبكم التى ستحولونها إلى عربة كارو تسير فى شوارع أوروبا .

ـ الناس تسخر دائما من أصحاب المشاريع الجريئة .. عموما ليس مسموحا لك بالاعتذار .. وإذا أصررت على الاعتذار .. عليك أن تدفع تكلفة الرحلة .. بالإضافة لتكلفة الإقامة فى الأوتيل وهو مبلغ كبير لا اعتقد أنك قادر على دفعه .

— أنت تمزح معى مزاحا قاسيا لست مستعدا لتحمله .. أريد أن أقابل الأستاذ حاتم فورا .

ـ قلت لك أنه مشغول .

— حسنا .. سأحزم حقائبى الآن وانصرف وأعود للقاهرة.

ـ لن يسمح لك أحد بالخروج .

— نعم .. أنا مسجون هنا إذن ؟!

ـ لأ .. أرجوك لا تضع المسألة فى هذا الإطار .. لقد أدليت لك الآن بسر خطير .. إذا تسرب هذا السر لشركات السياحة المنافسة فستكون خسارتنا فادحة ، من المؤكد أنهم سيسبقوننا وينفذون هذا الاختراع

بامكانيات الغرب التكنولوجية المتطورة .

كريم .. إذا لم أقابل الأستاذ حاتم فى هذه اللحظة سأسبب لكم فضيحة كبرى .. سأصرخ بأعلى صوتى وأفشى هذا السر لكل المدعوين ولكل نزلاء الأوتيل وكل العاملين فيه .. ما تفعلونه هو كلام فارغ بكل المقاييس .. أنتم تضيعون وقتكم ووقت الناس .

كانت رنة التهديد فى صوتى صادقة لذلك تنهد فى عجز وقال هامسا: اصعد إلى غرفتك سيتصل بك بعد دقائق .

صعدت على الفور إلى غرفتى وأنا أغلى من الغضب .. بعد دقائق رن جرس التليفون ، كان صوت الأستاذ حاتم : إيه يابو علوة .. زهقت مننا؟

— لأ .. يا أستاذ حاتم .. أنا فقط أريد أن أعرف متى نبحر .

— ربنا يسهل .

إن شاء الله حايسهل .. امتى ؟

— والله يا أبو علوة أدى احنا شغالين ليل ونهار .

ـ يا أستاذ حاتم .. ما هى حكاية عجلات الكاوتش العملاقة التى ستركبونها فى المركب ؟

— من الواضح أن كريم قال لك أشياء غير مصرح له بقولها الآن على الأقل .. أرجو ألا تكون قد أرسلت بها لجريدتك أو لأى وكالة أنباء وإلا عرضتنا لمتاعب كبيرة .

ـ يا أستاذ حاتم ، أنا لست أعمل فى الجرائد ، ولا فى وكالات الأنباء ، أنا اكتب لإضحاك الناس ، وأنتم تعتدون على يا أستاذ حاتم .. تتدخلون فى عملى وتضحكونهم بدلا منى .

— طب إهدأ بس .. إهدأ .. أنا جاى لك حالا .

وأقفل السكة .

●●●

قال لى الأستاذ حاتم الطامى رئيس مجلس إدارة الشركة فى التليفون : إنه سيأتى حالا ، ولكن حالا هذه قد تعنى عدة

ســاعات أو عــدة أيام أو عــدة شهــور أو عدة سنين .. نــزلت إلى المطعم لتناول العشاء فــلاحظت اختفاء عدة وجوه .. بعــد أن انتهيت من تناول العشاء خــرجت إلى البهو وسألت العامل الــواقف بجوار الباب : هــو فيه جماعة خرجوا دلوقت ؟

ـ أيوه .. رجعوا مصر .

— متأكد .. ؟

ـ أيوه .. أنا اللى حجزت لهم فى الديزل .

الحمد لله ، يبدو أنه قد صدرت الأوامر بعدم حبسنا فى هذا الفندق فى انتظار تركيب العجلات للمركب ، كما أننى استبعــد قيامهم بدفع تكاليف الرحلة ، فأنــا أعرف أنهم موظفون عاديــون فى الحكومة .. من المستحيل أن يدفعوا عشرة آلاف جنيه على الأقل فى مقابل رحلة لم يقوموا بها .

بحثت عن كــريم مسئول العــلاقــات العامــة ، كــان جالســا فى ركن مشمس فى حــديقة الفندق ، بــادرته : أرى أنكم سمحتم بخــروج بعض المدعوين .. هل أفهم أنهم دفعوا مصاريف الرحلة ؟

ــ لقد تعهــدوا بالحضــور فورا عنــد إبلاغهم بمــوعد الإبحــار ، كما أحضروا خطــابــات من الهيئــات والمصــالح التــابعين لها بســداد المبلغ المطلوب فى حالة عدم قيامهم بالرحلة .

— حسنا ، أنا أيضا على استعداد لكتــابة هذا التعهد ، وأقسم بشرفى أننى على استعداد للحضــور فورا للقيــام بالرحلــة عندمــا تكون المركب جــاهزة .. كما أننى على استعــداد لسداد المبلــغ المطلوب فى حــالة عــدم قيامى بالرحلة .

ــ من سيعتمد تــوقيعك على هــذه التعهــدات ؟ . ما هــى الهيئــة التى تتبعها ؟

— أنا مجرد آدمى ، بشرى ، مواطن ، واحد من سكان هذه المنطقة ، إنســان فرد ، لست تابعا لأى مصلحــة أو هيئة أو جماعة .. وأنا مسئول عن تعهداتــى .

ــ لابد من اعتماد تــوقيعك من هيئــة حكوميــة أو شبــه حكوميــة أو رسمية أو قطاع أعمال .

— ممكن شيخ الحارة ؟
ـ لا .. للأسف .
— حسنا دعنى أعقد معك صفقة .. أنا موافق على الإقامة فى هذا الفندق إلى أن يشاء الله .. ولكننى أحب المقاهى البلدية .. أريد أن اذهب إلى حى كامب شيزار ، واجلس إلى قهوة ، وأتناول السحلب الساخن والشيشة ، واستمتع بكورنيش البحر فى جو الخريف الجميل .
ـ ومن يضمن عودتك ؟
— أنا .. أنا جنتلمان .. أعطيك كلمة جنتلمان .. هل تعرف معنى كلمة جنتلمان ؟
ـ نعم .. يعنى راجل جنتل .. راجل ظريف .
— لأ .. معناها رجل مسئول عما يقول .. أنا مسئول عما أقول ياكريم .. والله العظيم سأتناول بعض المشروبات والشيشة ثم آتى .
ـ هم يقدمون الشيشة هنا أيضا .
— ولكنهم لا يقدمون جو المقهى .. لايقدمون الرصيف .. لا يقدمون الكورنيش .. لا يقدمون صوت الطاولة من بعيد .. لا يقدمون الجو الذى أحبه .. يا كريم ، أنت تحرمنى من حريتى التى ولدت بها .
ـ أعوذ بالله .. كيف تقول هذا الكلام يا رجل نحجز لك فى فندق خمس نجوم ، وستقوم معنا برحلة مجانية جميلة إلى موانى البحر الأبيض والعواصم الأوروبية ، ثم تتهمنا فى النهاية بأننا نحرمك من حريتك ؟! لماذا لا تتحمل معنا قليلا ؟ .. نحن أيضا نتألم مثلك لضياع الوقت .. أنت تريد حرية منفلتة بلا ضوابط .. حرية تسبب الأذى للآخرين .. تؤذينا .. لقد أنفقنا الملايين من أجل تطوير المركب ، من أجل استمتاع سعادتك بالرحلة .. وهاأنت تريد التخلى عنها وعنا ، كما لو كنا لا نهمك فى شىء .. كما لو كانت أموال بلادك لا تهمك فى شىء .. ماذا نقول للجهاز المركزى للمحاسبات ؟! .. هل نقول لهم إننا انفقنا كل هذه الأموال على مشروع فاشل ؟ .. لابد أن تنجح هذه الرحلة .. ولابد أن تستمتع بها أنت وبقية المدعوين .



فى تلك اللحظة شاهدت عدة مدعوين يمرون فى طريقهم للخروج من الفندق فصحت فى كريم .. وهؤلاء ؟ .. أنا أعرفهم ليسوا موظفين فى الحكومة أو فى أى جهة رسمية .. اسمح لى بالخروج مثلهم .

ـ هؤلاء معهم شهادات مرضية معتمدة من القومسيون الطبى العام بأن الانتظار يضر بصحتهم ضررا بليغا .

ـ أنا أيضا مصاب بنفس المرض .. الانتظار الطويل يشعرنى بالجنون .. اسمح لى بالذهاب إلى محطة الرمل وسأتى لك من أى طبيب بالشهادة المطلوبة .

ـ وتعتمدها من القومسيون الطبى العام ؟

ـ نعم ..

ـ للأسف لن تصلح ، فلابد من اعتماداها من القومسيون الطبى بتاريخ سابق على توجيه الدعوة .

وهنا لمحت الأستاذ حاتم الطامى رئيس مجلس إدارة الشركة داخلا ، دعانى لتناول القهوة فى الكافتيريا .. كان فى حالة نفسية طيبة ، دفعتنى للتصور أننا على وشك الإبحار ، قال لى : لدى خبران ، واحد ليس سيئا جدا والآخر مفرح جدا . لنبدأ بالمفرح ، لقد نجحت تجربة العجلات الكاوتش ..

ـ الحمد لله .

ـ ولكن السؤال هو .. هل ستسير المركب فى شوارع أوروبا كل الوقت ؟ ماذا عن الشوارع المزدحمة والضيقة ؟ . هل ستركبون الأتوبيسات فى هذه الحالة ؟ بذلك ينهدم المشروع من أساسه .. أم نفكر فى حل لهذه المشكلة ؟

حرصت على أن أظل صامتا ، تركته يتكلم ، يطرح السؤال ويتطوع بالإجابة ، ولكنه سكت هو الآخر كما لو كان مصرا على أن أشاركه لعبة المنطق المستحيل ، هذا النوع من البشر لايكتفى بممارسة البلاهة ، بل يحرص على جرك إلى دائرتها ، ومع ذلك قلت له تأدبا : طبعا تفكرون فى حل هذه المشكلة .

وهنـا قال بفـرح : برافـو هذه هى الإجـابة التى أتـوقعها من مفكـر تقدمى مثلك .. نعم ، لقد فكرنا فى حل لهذه المشكلة .

لم أسألـه ما هـو ، انتظـر عدة لحظـات قبل أن يـواصل : فى حالـة الشوارع الضيقة أو المزدحمة بحركة المرور .. ستطير المركب .

ـ نعم .. ؟ ستطير المركب ؟

ـــ نعم ستطير .. بـالطبع لن تطير مثل الطـائرات النفـاثة ، ولكنهـا سترتفع فى السماء مثل المنطـاد .. هل تذكـر المنطاد ؟ .. ستكـون هناك بالونـات فوق المركب ، عندما نـريد الارتفاع عن الأرض سنملـؤها بغاز خفيف .. أخف من الهواء الجوى .. فترتفع إلى أعلى صاعـدة بالمركب إلى السماء ..

ـ الله ، حلو قوى .. هذه فكرة جميلـة وجريئة .. ماذا عن الخبر الآخر الذى تقول عنه إنه ليس سيئا جدا .

ـــ لابد من خفض نفقـات المشروع .. لا داعى للبقاء فى فنادق خمس نجوم .. لقـد قررنـا أن يقيم المدعوون فى الاستراحـات الحكوميـة .. كل حسب درجته الوظيفية .

ـ جميل ، ولكنى لست موظفا .. هل من الممكن أن أقيم فى القاهرة إلى أن تبدأ الرحلة ؟

ـــ لأ .. لقد سألنـا فى موضوعك .. اكتشفنا أن مهنـة كاتب مسرحى تعادل درجة وكيل قسم ، لذلك ستقيم فى معسكر الشباب فى « أبو قير » وفى خيمة ممتازة .. والحمامات تبعد عنك مائتى متر فقط .

ـ شكرا ..

●●●

هنـاك حوالى مـائتى خيمـة فى المعسكر مجهـزة بكل مـايلزم للحيـاة العصرية ، كل هـذه الخيام مخصصـة للمسئولين عن شئـون المعسكر ، وشئون الضيف الـوحيد وهو أنـا ، أما الخيمـة التى تقرر أن أقيم فيهـا فكانت أسـوأها جميعـا . كنت الوحيـد من الركـاب المدعـوين الـذى بقى فى الإسكنـدرية فى انتظـار الـرحلـة ، كل



المدعوين عادوا إلى القاهرة بعد أن تعهدت الجهات التى يعملون بها بإرسالهم إلى الاسكندرية فى موعد الإبحار .

مديرة المعسكر سيدة كئيبة ترتدى ثيابا قاتمة دائما حزنا على تخطيها فى الترقية منذ أعوام طويلة ، عندما كانت تبتسم — وهذا كان يحدث أحيانا — كنت أشعر بانقباض . الحراسة على المعسكر كانت شديدة ، فشلت فى الخروج بشكل طبيعى أو متسللا لتدخين شيشة فى كامب شيزار ، الطعام جيد نسبيا ، الحمام على بعد مائتى متر ، المياه تصل ضعيفة بعد منتصف الليل ، ولكنى لا أستطيع أن أقول إن حياتى فى المعسكر كانت تعسة فقد كنت أشعر أحيانا بالسعادة عنما أفكر فى أن كل شىء له آخر ، وأن رحلتى البحرية إلى موانى وعواصم أوروبا ستتم فى النهاية .

بعد أن تأكد المسئولون من أن المركب قادرة على السير على الأرض بدأ المهندسون فى إجراء التجارب على المناطيد العملاقة ، جاء مندوبون من وزارة السياحة لمشاهدة تحليق المركب فى السماء ، ملأوا المناطيد بغاز الهيدروجين الخفيف ، واستطاعت المركب أن تحلق بالفعل ولكن بدون ركاب ، ولكن هل ستتمكن من التحليق وهى بكامل حمولتها ؟ لم تقلق هذه المشكلة المهندسين ، اقترح بعضهم زيادة عدد البالونات العملاقة التى تكون المنطاد ، ولكن الاقتراح رفض على الفور ، لأنه يتطلب ميزانية جديدة وبالتالى تأجيل الرحلة إلى أن يتم الحصول على دعم إضافى من ميزانية السنة المالية الجديدة ، غير أن أحد المسئولين اقترح أنه من الأرخص للشركة تأجير أتوبيسات لنقل الركاب من الموانىء ، وأن تطير المركب بدون ركاب وبذلك تحقق الشركة التأثير الدعائى والإعلامى والإعلانى السياحى المطلوب ، سيرى الناس المركب فى أوروبا وهى تسير على الأرض على العجلات العملاقة ، ثم يرونها وهى تطير لكن فارغة ، من الممكن عمل تماثيل خفيفة بأعداد كبيرة توضع على سطحها فتبدو من بعيد وكأنها ركاب حقيقيون.

يبدو أن الانفاق زاد عن الحد المعقول . فأقيل الأستاذ حاتم الطامى

من مجلس إدارة الشركة ، وعين مكانه الأستاذ حكيم نزيه أمين الذى أمر على الفور بالتحقيق فى خطوات العمل والتعديلات التى أجريت على المركب والمبالغ التى أنفقت عليها . كما اعترض بشدة على حكاية البالونات العملاقة لأن فكرة المنطاد نفسها فشلت تاريخيا ، فقد كانت أى شرارة مهما كانت بساطتها كفيلة بإشعال غاز الهيدروجين الذى يمتلىء به المنطاد ، لقد أثبت التاريخ أن الطائرات أكثر أمنا وسلامة ، لذلك فقد تم وضع خطة جديدة مع مجموعة من المهندسين لإلغاء البالونات وتركيب مراوح عملاقة شبيهة بتلك التى تطير بها طائرات الهليوكوبتر ، ولما كانت ميزانية الشركة عاجزة عن مواجهة نفقات مشروعه الجديد لذلك سعى للحصول على قرض أجنبى ، وحصل عليه بالفعل وتولت شركة سويدية تنفيذ المشروع .

طلباتى الأساسية فى الحياة كانت متوافرة فى المعسكر ، سجائر ، بن، جرائد ، مجلات ، راديو صغير ، أما التليفزيون فقد كان معطلا . طلبت مقابلة رئيس مجلس إدارة الشركة الجديد ، فسألتنى مديرة المعسكر : ماذا تريد أن تقول له ؟

ـ سأطرح عليه بعض الأفكار المفيدة .

— ما هى .

ـ سأطرحها عليه هو .

— أنت لا تثق بى إذن .

ـ لا أحد قادر على نقل أفكارى .. أريد أن أعرضها عليه بنفسى .

— هو مشغول طوال الوقت .

ـ حسنا .. أنا لست فى عجلة من أمرى .. أنا أطلب مقابلته فقط .. وهو حر فى تحديد موعد المقابلة.

— هل يمكن أن تكتب مذكرة بما تريد .. ونرسلها له ؟

ـ لست أضمن أن ترسلوها ولا أضمن أن يقرأها .

— من الواضح أنك تشك فينا جميعا .

ـ نعم يا سيدتى .

●●●



فى اليوم التالى زارنى الطبيب المسئول عن المعسكر ، زارنى فى خيمتى ودار بيننا حديث طويل عن الإسكندرية وعن كيفية طهو السمك وفجأة سألنى : لماذا تشك فين جميعا ؟

ـ الواقع أننى لا أشك فيكم .. أنا لا أثق فيكم .

ـــ لماذا .. ؟

ـ فى الحقيقة أنا مختلف عنكم فى منهج التفكير .. أنا أرى أن المراكب تمشى فوق الماء فقط .. وأنتم ترون أنها قادرة على السير فوق الأرض وقادرة أيضا على التحليق فى السماء .

ـــ وإذا كنا قد نجحنا فى مشروعنا وأثبتنا بشكل واضح ومقنع أن المراكب تستطيع المشى والسير فى الشوارع والتحليق فى الجو .. ألا يجعلك ذلك تراجع أفكارك ؟

ـــ اعترف أنكم استطعتم إثبات ذلك .. إلا أننى أرى أن ذلك لم يكن يجب أن يحدث .. كان لابد أن تبحر بنا المركب فى البحر ، وتتوقف فى الميناء ، ثم نركب السيارات أو القطارات إلى الأماكن التى نريد زيارتها .. أنا أيضا اعترض على طيران المركب فقد كلفكم ذلك الكثير .

ـــ دعك من التكاليف .. نحن الآن نناقش الفكرة نفسها .

ـ هى فكرة سخيفة ، ولا يوجد على الأرض من يقنعنى بغير ذلك .

ـ هل تنام نوما طبيعيا ؟

ـــ أفهم ماترمى إليه .. نعم أنا فى حالة نفسية طيبة وأنام نوما عميقا وأحلم أحلاما جميلة .

ـ بماذا تحلم ؟

ـــ أحلم بأننى أزور الموانىء والعواصم الأوروبية .

ـ هل تعتقد أن ذلك سيتحقق ؟

ـــ نعم ، حتى طاقة السخافة داخل البشر لها حجم ولها عمر .. مثل البترول سينتهى فى يوم من الأيام .. فجأة ستكتشفون أنكم لا تملكون فكرة واحدة سخيفة .. وتكتشفون أنكم عاجزون عن ممارسة السخافة.. عندئذ ستجدون أنه من المحتم ومن السهل أيضا الاكتفاء

بأن تسير المركب فى البحر وترسو على الميناء .. عندها سأتمكن من القيام برحلتى .

ـ هل تقرأ الصحف .. ؟

ـ نعم .. وأعرف أن عددا كبيرا من البشر سعداء بهذه التجارب .. وبهذه الأفكار الخاطئة .

ـ هل أنت أفضل منهم ؟

ـ فى الحق لا أعرف .. ولكنى أعرف شيئا واحدا ، الفكرة الخاطئة تظل خاطئة رغم كثرة عدد الذين يتحمسون لها .. بل إن بعض الأفكار نعرف أنها خاطئة بسبب حماس الكثيرين لها .. هل تذكر الأفكار الماركسية اللينينية ؟ .. هل تذكر عدد من اعتنقوها ؟

●●●

تركنى الطبيب ، عدت إلى الخيمة ، فى تلك الليلة تحدثت معى أمواج البحر ، قالت لى : دافع عن نفسك .. كافح من أجل رحلتك .. إنها رحلة واحدة .. هى العمر كله .. هى العمر نفسه .. أصمد .. دافع عن حريتك .

وزارة الثقافة . هيئة الكتاب



رقم الإيداع ٧٤٠٣ / ٩٥
I. S. B. N
977 -08 - 0243 - 3

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم

□ هـــذا الكتـــاب □

كان المفروض أن يكون عنوان هذا الكتاب « حاول أن تفهم » ..!! صحيح أن الحوارات التى كتبها على سالم ضاحكة فعلا .. ولكنها ليست ساذجة أو بريئة كما تبدو .. فقد غلف هذا الضحك بنقد عنيف لكل شىء فى حياتنا ..

وعلى سالم كاتب مسرحى قدير .. كتب العديد من المسرحيات التى نجحت جماهيريا .. وهو كاتب متمكن من كتابه الحوار المركز الذى يعبر عن الفكرة بعمق واقتدار .. نفس القدرة والتمكن التى كان يتميز بها الكاتب العملاق الراحل توفيق الحكيم .. فالحكيم كان متفردا فى كتابه الحوار الذى يبدو بريئا وضاحكا .. ولكنه يحوى سخرية مريرة وفكرا عميقا ..

فالفن الحقيقى هو الذى يجعلنا نفكر بجدية .. ويثير التساؤلات .. ويعيد صياغة وجداننا ..
وهذا الذى يحاوله على سالم من خلال حوارات هذا الكتاب ..

□ نبيل أباظة



مطابع دار اخبار اليوم

جنيه كهات